التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 119 السنة الخامسة عشر - اكتوبر 2017

اعـادة إحيـــاء التعاونيات 03

الوقت يمضي.. فماذا نحن فاعلون؟ 07

العلاقة بين الدين والسياسة والدولة 21

موقفنا

الديمقراطية شرط لمحاربة الإرهاب

نقف موقفاً إيجابياً من التوجهات الجديدة في السياسات الخليجية في مواجهة الإرهاب، ليس فقط بمنع أوجه الدعم والمؤازرة التي كانت تتلقاها تنظيمات متطرفة مسلحة عملت خلال السنوات الماضية على تقويض الدول بوصفها كيانات وطنية ذات سيادة، وإنماً أيضاً بالعمل على احتواء وتطويق المنابر التي منها تنطلق دعوات التكفير وتحريض الشبان العرب على الالتحاق بالإرهاب تحت راية ما تصفه ب «الجهاد».

واقترنت هذه التوجهات بخطوات انفتاحية هي موضع كل الترحيب، في اتجاه كسر طوق التزمت الذي فرضته الاتجاهات المحافظة من خلال المنابر التي كانت تحت حوزتها، ومن هذه الخطوات القرار المهم الذي اتخذه العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز ببدء السماح للمراة في السعودية في الحصول على رخصة قيادة السيارة، مستجيباً بذلك لمطالبات طويلة للنساء السعودية اللواتي قدمت طلائع منهن تضحيات في سبيل نيل هذا الحق البديهي، وثمة حديث عن خطوات أخرى في الأفق تصب في اتجاه الانفتاح والعصرنة.

هذه السياسات تستجيب لرغبات شعوب المنطقة وتطلعاتها في التقدم والحداثة والانفتاح، وأيضاً تصب في مصلحة الشعوب العربية كافة في تأمين الاستقرار والأمن والتفرغ للتنمية والعطاء، بعد القضاء على منابع التوتر والقضاء على المجموعات الإرهابية التي عاثت في أراضينا فساداً وقتلاً وبطشاً.

وأملنا كبير في أن تستمر هذه السياسات التي ما زالت في بداياتها، وأن تتعزز وتتوطد وتترسخ، وأن تمضي الحكومات فيها بالمزيد من الشجاعة وعدم التردد، فهذا التطوير، خليجيا، هو في الأساس حاجة وطنية لتأمين الاستقرار والأمن الداخليين في هذا العصر الذي أصبحت التعددية السياسية والشفافية وتدفق المعلومات مقومات أساسية له.

إن الانفتاح الاجتماعي والثقافي الذي نشاهد اليوم المؤشرات المشجعة عليه، والذي نتمنى له المضي إلى أبعد الآفاق، ونقف معه قلباً وقالباً داعمين ومؤيدين، أمر مهم ولا شك، لكن الانفتاح الاجتماعي، وكذلك محاربة الإرهاب يجب أن يقترنا بتلبية شروط الانفتاح السياسي، بفتح الطريق أمام التحول الديمقراطي والمشاركة السياسية، فالتطورات المحيطة بنا تفرض هذا الأمر فرضاً، فما زالت دول المنطقة تراوح بين حالين، إما حال تجاهل الاستحقاقات السياسية أو تأجيلها ما أمكن، أو السير بخجل نحو بعض التدابير المحدودة، فيما المطلوب إزاء ما هو ماثل أمامنا من مهام أن نحث الخطى وبسرعة إلى الأمام.

وبإمكان دول الخليج أن تستفيد من التجارب المؤلمة والصعبة في بلدان عربية أخرى، فتؤمن لنفسها مساراً متدرجاً سلساً من الإصلاح السياسي يجنبها الهزات العاصفة أو الخضات غير المضمونة من خلال خطوات مدروسة ولكن دون تردد أو وجل.

التقدمي

الدكتور هاشم العلوي شهيد الديمقراطية والعدالة الاجتماعية

بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد الرفيق د. هاشم العلوي أصدر المنبر التقدمي البيان التالي:

تمر اليوم الذكرى السنوية لاستشهاد رفيقنا المناضل في صفوف جبهة التحرير الوطني البحرانية وأحد كوادرها المتفانية الدكتور هاشم العلوي الذي استشهد في عام 1986 تحت التعذيب الوحشي الذي تعرض له هو وبقية رفاقه ممن شملتهم حملة الاعتقالات التي طالت مناضلي الجبهة آنذاك، في إطار حملات القمع المتتالية التي كان مناضلة الحركة الوطنية البحرينية يتعرضون لها في فترة في قانون أمن الدولة السيئ الصيت الذي فُرض على بلادنا بعد حل المجلس الوطني في أغسطس عام 1975، واستمرّ العمل به أكثر من ربع قرن.

خلال تلك الفترة ناضلت الحركة الوطنية والقوى الشعبية في البحرين من أجل إعادة الحياة النيابية وأشاعة الديمقراطية والحريات العامة في البلاد، وظلت تصدر البيانات المطالبة بتلك المطالب المشروعة، ورداًعلى تنامي نضال جبهة التحرير الوطني وبقية القوى الوطنية المطالب بتلك الحقوق في أوساط فئات متعددة من أبناء شعبنا تعرض مناضلو الجبهة لحملة أعتقالات واسعة شملت العديد من كوادرها ونشطاءها في واحدة من أشرس الحملات القمعية التي تعرضت لها طوال تاريخها السياسي والنضالي، بتوجيهات من رئيس جهاز الأمن المقبور البريطاني آيان هندرسون، ونتيجة التعذيب الوحشي سقط رفيقنا الدكتور هاشم إسماعيل العلوي شهيداً.

واحد وثلاثون عاماً مضت على تصفية الشهيد الدكتور هاشم العلوي، وما زالت الحقيقة غائبة حول ظروف استشهاده، وما زالت القوى السياسية والحقوقية تطالب بتشكيل لجنة الإنصاف والحقيقة، من أجل معالجة هذا الملف الإنساني الموجع، والحيلولة دون تكرار الممارسات التي تفضي إلى سقوط ضحايا جدد.

ستظل ذكرى هاشم العلوي حية في قلوب رفاقه والأجيال القادمة منها يستلهمون العزم على مواصلة العمل من أجل الأهداف التي ضحى بحياته في سبيلها.

المنبر التقدمي
١٨ سبتمبر ٢٠١٧

فيلم عن شجاعة المرأة في ملتقى التقدمي

في العاشر من سبتمبر الماضي عُرض في ملتقى التقدمي الأسبوعي الفيلم الروائي الروسي: "نستدعي النار على أنفسنا"، الذي يُصور بطولة النساء في مواجهة الاحتلال النازي للأراضي الروسية في الحرب العالمية الثانية، وهو الموضوع الذي طالما تناولته السينما السوفيتية في العديد من الأفلام، كما تناوله الأدباء الروس والسوفيت عامة في الكثير من الروايات.

تدورقصة الفيلم حول مجموعة من الفتيات المتطوعات في المقاومة الشعبية، اللواتي يتسللن خلف صفوف العدو، ويصلن إلى مواقع تمركز قواته، ومن هناك يعطين الإشارة للقيادة العسكرية بقصف تلك المواقع بعد أن يحددن الوقت المناسب لإيقاع أكبر الخسائر في صفوف العدو، مخاطرات بحياتهن، لأنهن أنفسهن يكن موجودات حين تكون اللحظة مناسبة لاستهداف قوات العدو.

في إحياء ذكرى رحيل المناضل عبدالرحمن النعيمي وتأسيس "وعد"

فاضل الحليبي: نتطلع لسرعة قيام التيار الوطني الديمقراطي

ألقى الرفيق فاضل الحليبي نائب الأمين العام للشؤون التنظيمية في المنبر التقدمي كلمة «التقدمي» في الحفل الذي أقامه الرفاق في جمعية «وعد» لإحياء الذكرى السادسة لرحيل المناضل الكبير عبدالرحمن النعيمي والذكرى السادسة عشر لتأسيس الجمعية.

وقال الرفيق الحليبي في كلمته: «إن في إحياء الذكرى السادسة لرحيل المناضل عبدالرحمن النعيمي، تقدير وعرفان لتضحيات هذا القائد الوطني، وسواه من القادة والمناضلين الوطنيين الذين رحلوا عنا، وتركوا بصماتهم الوطنية الواضحة في مسيرة النضال الوطني ضد الهيمنة الاستعمارية والقوى الرجعية من أجل أن تسود في البحرين الديمقراطية والمساواة والعدالة الاجتماعية.

إنهم مناضلو وقادة الحركة الوطنية والديمقراطية البحرينية التي صنعت لشعبنا تاريخاً سياسياً وطنياً عابراً للطوائف والأعراق، نشرت من خلاله أفكار التقدم والإنسانية في وسط أجيال عديدة، وبفضل أفكارهم ومواقفهم الوطنية ترسخت مفاهيم الوحدة الوطنية والتسامح والتعايش في وجدان شعبنا، واستطاعوا التصدي لمشروع المستعمر البريطاني ومبدأه المعروف (فرق تسد) ومعه القوى الرجعية في الظروف الصعبة، ومن أجل انجاز مهامهم الوطنية دفعوا الثمن باهظاً، بالتضحيات التي قدموها بالاستشهاد والاعتقال، والمطاردة والفصل من العمل والنفي، حيث قضى العديد من مناضلي وقادة الحركة الوطنية البحرينية عقوداً من السنين في المنافي، ومن ضمنهم الرفيق الراحل أبو أمل الذي قضى أكثر من ثلاثين عاما في المنفى.

كما عبر الرفيق نائب الأمين العام للشؤون التنظيمية عن تقدير «التقدمي» لاستمرار التنسيق بين جمعيات التيار الوطني الديمقراطي الثلاث: المنبر التقدمي والتجمع القومي ووعد، وقال: «نتطلع إلى سرعة الإعلان عن تشكيل التيار الوطني الديمقراطي، فالوطن في حاجة لوجود ودور تيار وطني مدني يعمل على ترسيخ الثقافة الديمقراطية والوحدة الوطنية في المجتمع، بعد ان سادت لسنوات النوازع والأحقاد الطائفية البغيضة عندما فسح المجال لأصحاب المشاريع الطائفية لنشر خطابهم المفتت للوحدة الوطنية».

وختم كلمته بالتطلع إلى أن يكسب الرفاق في «وعد» الدعوى القضائية والمطالبة بحل الجمعية، وأن يصدر الحكم القضائي برفض الطلب، وأن تواصل «وعد» مسيرتها النضالية والوطنية جنباً إلى جنب مع أطراف التيار الوطني الديمقراطي من أجل وطن لا يرجف فيه الأمل.

فضفضة

عيسى الدرازي

إعادة إحياء التعاونيات

تحتفل البحرين خلال العام الجاري بمرور 45 عاماً على انطلاق الحركة التعاونية، حيث تمَّ إشهار أول جمعية تعاونية استهلاكية، تلك الحركة التعاونية النامية التي بدأت بجمعية مدينة عيسى التعاونية الاستهلاكية في بداية السبعينات وصولاً إلى تأسيس آخر جمعية تعاونية في العام 1994 وهي جمعية سار التعاونية الاستهلاكية.

يقول الكاتب الصحافي علي صالح في ورقة عمل قدمها ضمن أعمال ملتقى التعاونيات الخليجي الثالث الذي عقد في دولة الكويت في 2016، بأن التعاونيات في البحرين استهلاكية في نشأتها وقد اعتمدت في عملها عند التأسيس على فتح أسواق مصحوبة بما توفره إدارة محطات الوقود نيابة عن شركة نفط البحرين (بابكو)، وتأجير بعض الدكاكين والعقارات وإنشاء المخابز.

ويوضح علي صالح بأن أفول نجم التعاونيات في البحرين بدأ مع بداية التسعينات، حيث أخذت الجمعيات تعاني من الخسائر ومن التراجع في المبيعات، وبطبيعة الحال تناقص البضائع المعروضة ومحدوديتها، وهو ما أدى، بحسب صالح، إلى تتابع إغلاق هذه الجمعيات لأسواقها واضطرار الجمعيات التي لم تحصل على إدارة محطات الوقود إلى إعلان إفلاسها وإغلاق أبوابها بالكامل، حيث انخفض عدد الجمعيات التعاونية من 12 جمعية في أوج تواجدها إلى جمعيتين فعلياً.

تجربة قيام الجمعيات التعاونية في البحرين وثم انحسارها بهذه الصورة السريعة تفتح الباب على تساؤلات عن مدى رغبة الدولة في الحفاظ على تواجد الحركة التعاونية وربما التفكير تالياً في إعادة إحياءها، خصوصاً في مثل هذه الحالة الاقتصادية التي تمر بها المنطقة، فتواجد الجمعيات التعاونية وإعادتها كسابق عهدها ليست حاجة للمواطن فحسب بل إن الدولة أحوج إلى ذلك، من حيث فتح نوافذ بيع ميسرة للمواطن من جهة، ومن جهة أخرى توفير منصات بيع متنوعة للأسر المنتجة والمنتجات المحلية على حد سواء. وهو ما سيؤدي حتماً إلى دوران العجلة الاقتصادية على أكثر من صعيد وستزيد نسبة المستفيدين من إعادة إحياء الجمعيات التعاونية في مختلف مناطق البحرين.

عودة الحركة التعاونية في البلد تحتاج إلى تفاهمات توضح العلاقة بين الدولة والتعاونيات، فكلاهما يحتاج الآخر التأسيس الصحيح والسليم دون إغفال منح الاستقلالية لهذه الجمعيات للعمل والمساهمة في الاقتصاد الوطني.

بمناسبة اليوم العالمي للديمقراطية

جمعيات التيار الديمقراطي تدعو للالتقاء على أجندة وطنية

يُحيي العالم في الخامس عشر من سبتمبر من كل عام اليوم العالمي للديمقراطية، بقرار من الأمم المتحدة، هدفه التأكيد على ضرورة الديمقراطية، وانجاز مهام بناءها في البلدان التي لا تتوفر فيها، من أجل أن تكون حقاً متاحاً لكافة شعوب الأرض، كما يوفر هذا اليوم فرصة لاستعراض حالة الديمقراطية في العالم، ومتابعة ما تقوم به الحكومات والمجتمعات من تدابير من أجل تحقيقها وصونها.

وحسب المعايير الدولية فإن القيم المتعلقة بالحرية واحترام حقوق الإنسان ومبدأ تنظيم انتخابات دورية نزيهة بالاقتراع العام هي عناصر ضرورية للديمقراطية، وهي قيم ينص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وكذلك العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لضمان توزيع الثروة على نحو عادل وتوخي المساواة والإنصاف.

وقد اختارت الأمم المتحدة أن يكون موضوع عام 2017 هو الديمقراطية ومنع الصراعات، انطلاقاً من الحاجة الماسة لتعزيز المؤسسات الديمقراطية، وإشاعة السلام والاستقرارفي المجتمعات على قاعدة احترام حقوق الإنسان وسيادة القانون، من خلال تفعيل آليات الحوار والإصلاحات الدستورية والتشريعية وضمان الحريات وحقوق المواطنة المتكافئة، ونبذ القمع والعنف، وكل ذلك يتطلب تعزيز المجتمع المدني وتمكين المرأة ودعم سيادة القانون وإشراك الشعب في صنع القرارات، كشروط لا بد منها لتحقيق الاستقرار.

وفي هذه المناسبة فإن جمعيات التيار الوطني الديمقراطي في البحرين تدعو إلى استلهام القيم التي يمثلها اليوم العالمي للديمقراطية، بإطلاق آليات حوار فعالة بين الدولة والقوى السياسية الوطنية مبنية على روح ميثاق العمل الوطني، الذي فتح التصويت عليه من قبل الشعب صفحة جديدة في تاريخ وطننا العزيز، انطلقت فيها طاقات المجتمع المدني البحريني والقوى الفعالة في المجتمع، وأمكن تحقيق خطوات مهمة على صعيد تكريس شرعية العمل الحزبي والنقابي والحريات العامة.

وترى جمعياتنا أن التمسك بتلك المكتسبات ووقف كافة أوجه التراجع عنها وإطلاق الحريات العامة، بما فيها حرية التعبير والتنظيم ورفع القيود على الحريات الصحفية والإعلامية، وإعادة الزخم لعمل الجمعيات السياسية ووقف التدابير التي تستهدف بعضها، تشكل منطلقات ضرورية لإخراج البلد من الوضع الذي تراوح فيه منذ عام 2011، واستخلاص الدروس الضرورية من ذلك، بغية التأسيس لمستقبل قائم على الشراكة السياسية الفعالة بين الدولة والمجتمع، ومن أجل تضافر الجهود في سبيل البناء الديمقراطي، والنهوض بالمستوى المعيشي للشعب والحفاظ على المكتسبات والضمانات الاجتماعية المتحققة، خاصة مع الصعوبات الكبيرة التي يعامي منها الوضع الاقتصادي في البلاد، جراء تراجع أسعار النفط وتداعيات ذلك، إن على صعيد تفاقم الدَيْن العام أوعلى صعيد المستوى المعيشي للشعب الذي يسوء أكثر فأكثر.

وتدعو جمعيات التيار الوطني الديمقراطي كافة القوى السياسية البحرينية إلى الالتقاء على أجندة وطنية تخرجنا من المأزق الراهن وتنأى بنا عن الاحتقان وتصاعد وتيرة الطرح الطائفي والمذهبي وخطابات الكراهية، كما تدعو إلى تضافر جهود الجميع، في الدولة والمجتمع، من أجل فتح الطريق أمام غد مستقر وآمن تكون مقوماته الوحدة الوطنية والمشاركة السياسية والحريات العامة والعدالة في توزيع الثروات ومكافحة الفساد ووقف العبث بالمال العام.

قراءة في كتاب – باكورة فعاليات اللجنة الثقافية

دشّنت اللجنة الثقافية في «التقدمي» أنشطتها بفعالية قراءة في كتاب: «ضد الاحباط» لمؤلفه شريف صلاح الدين رائد، حيث استعرض الرفيق د. علي البقارة عضو اللجنة المركزية في التقدمي أفكار واستنتاجات مؤلف الكتاب، التي تتمحور حول خلق الروح الايجابية في العمل وفي التعاطي مع الصعوبات، ومواجهة السلبيات وبواعث الاحباط من خلال العمل والانخراط في الأنشطة، وعدم الاستسلام لليأس ومجابهة التحديات بالإرادة والمثابرة والتصميم.

قطاع المرأة بالتقدمي يُكرم المشاركات

نظمَّ القطاع رحلة ترفيهية إلى بركة سباحة في شهر أغسطس للعضوات والصديقات، في إطار أنشطته الاجتماعية المتنوعة.

كما أقامت رئيسة قطاع المرأة بالمنبر التقدمي فهيمة درويش بمنزلها بتاريخ 2017/9/4، حفل تكريم لعضوات القطاع تقديراً لهن ولجهودهن المتميزة في إنجاح حفل الثامن من مارس يوم المرأة العالمي 2017.

حضر حفل التكريم عدداً من عضوات القطاع والصديقات المقربات وتخلل برنامج الحفل فقرات مختلفة وكلمات للمكرمات وكلمة لرئيسة القطاع، وقالت فيها إن الهدف من التكريم هو تشجيع العضوات وتحفيزهن على العمل الجاد والمثمر في انجاح برامج القطاع والتميز في فعالياته، وتمنت أن يكون هذا التكريم حافزاً لبقية العضوات في العمل والمشاركة الفاعلة والمتميزة في تفعيل أنشطة القطاع.

هذا وقد كرم القطاع كلاً من الرفيقات حياة الموسوي وسلوى محمد جواد وزبيدة عبد الحميد وإيمان الشيخ.

عشرة أيام هزت العالم

جواد المرخي

قبل الثورة الاشتراكية العظمى في روسيا عام 1917، كانت كل اقطار العالم تعيش تحت هيمنة النظام الاقتصادي والسياسي الرأسمالي، وكانت الأفكار الطوباوية في التحليل هي المهيمنة على أمور الحياة السائدة آنذاك والمعتمد عليها في تفسير العالم بعيداً عن وضع الحلول لأسباب الاضطهاد والاستغلال الذي يمارس من قبل الطبقة البرجوازية الرأسمالية وحلفائها ضد الشعوب المضطهدة والطبقات الكادحة.

إلا أن ثورة أكتوبر بقيادة لينين وحزبه الطليعي وبطابعها الأممي أكدت على جوهرالمفهوم الماركسي عقم الطرح الطوباوي الذي كان يفسر ما يجري من ظلم واضطهاد وحرمان وفقر في عالم الرأسمالية المضطرب، وعلى ضرورة أن تخوض الجماهير الكادحة وفي المقدمة جماهير الطبقة العاملة النضال من أجل التغيير، وإقامة النظام الاشتراكي مع تحويل نظام الاقتصاد من الملكية الخاصة إلى الملكية العامة لوسائل الإنتاج.

وأدى نجاح الثورة الاشتراكية في روسيا إلى قيام الاتحاد السوفياتي ولاحقاً المنظومة الاشتراكية والتي أصبحت عقبة في طريق الرأسمالية خصوصاً بعد أن قامت الثورات الاشتراكية في الصين وكوبا وفيتنام وألهمت جماهير المستعمرات في نضالها ضد الوجود الاستعماري.

وهذا ما آثار حفيظة القوى الرأسمالية وحلفائها في العالم وجعلها تنصب العداء للشيوعية والاتحاد السوفياتي واستمر ذلك حتى عام 1991، الذي أعلن فيه عن تفكيك الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية ومن أسبابها الأخطاء الحزبية التي ترعرعت فيها صفوف الانتهازية للبرجوازية والقومية.

في هذا العام نشهد حدثاً تاريخياً كبيراً باحتفال القوى اليسارية في العالم بالمناسبة المئوية للثورة الاشتراكية في روسيا في منتصف أكتوبر القادم 2017، وسوف يكون للشبيبة الديمقراطية في العالم دور في احياء هذه الثورة من خلال مهرجان الشبيبة والطلبة القادم في مدينة تسوشي، وايضاً سوف تحتفل القوى الشيوعية والعمالية بهذه المناسبة للتأكيد على أن مكانة الثورة الاشتراكية في روسيا باقية في وجدان شرفاء العالم..

ولا يمكن أن نتحدث عن الثورة الاشتراكية في روسيا، دون أن نتذكر ما سجله عنها الصحفي الأمريكي جون ريد الذي عاش أحداث الثورة آنذاك عن قرب في بيتروغراد، ورصد استيلاء البلاشفة بقيادة لينين على السلطة في تشرين الثاني عام 1917، ودوّن ذلك في كتابه الشهير: «عشرة أيام هزت العالم»، الذي حظى باهتمام بالغ من قبل قائد الثورة لينين، وقد طبع هذا الكتاب مئات الطبعات وترجم لأكثر لغات العالم وكان مصدر إلهام للماركسيين واليساريين في كل مكان.

في ذكراها المائة يتواصل نضال الشعوب الكادحة وفي المقدمة جماهير الطبقة العاملة ضد هيمنة الامبريالية المسؤولة عن صناعة الحروب وتدمير البيئة وازدياد حجم الفقر والبطالة والجوع في في العالم وتدعم سياسات الأنظمة الشمولية والرجعية التي لا تقيم وزناً لمسألة العدالة الاجتماعية وحقوق الانسان، ويزداد إدراك القوى الحية في عالمنا بأن النظام الرأسمالي العالمي يعيش على نهب ثروات شعوب العالم وهو السبب في افقارها وتجويعها وحرمانها.

محطات

يحررها: خليل يوسف

المواطن والحقوق

الحديث دائماً عن الواجبات التي ينبغي على المواطن العربي أن يلتزم بها، وينسي او يتناسى من يريد ان يُكرّس هذا المفهوم للواجبات أنه لا يمكن ان يستقيم الحديث عن الواجبات دون أخذ الحقوق، ولكن الطامة الكبرى حين تتحول الحقوق إلى هبات ومكرمات، ونصوص يفسرها حملة المباخر الذين لا يتوقفون عن إقصاء العقول وتقديم الطبول.. ويتحول المواطنون الى رعايا، وتتحول مطالبهم الى مناشدات، ويتحول المشهد برمته الى واقع قيمته الوحيدة تكمن فيما يبوح به..!!

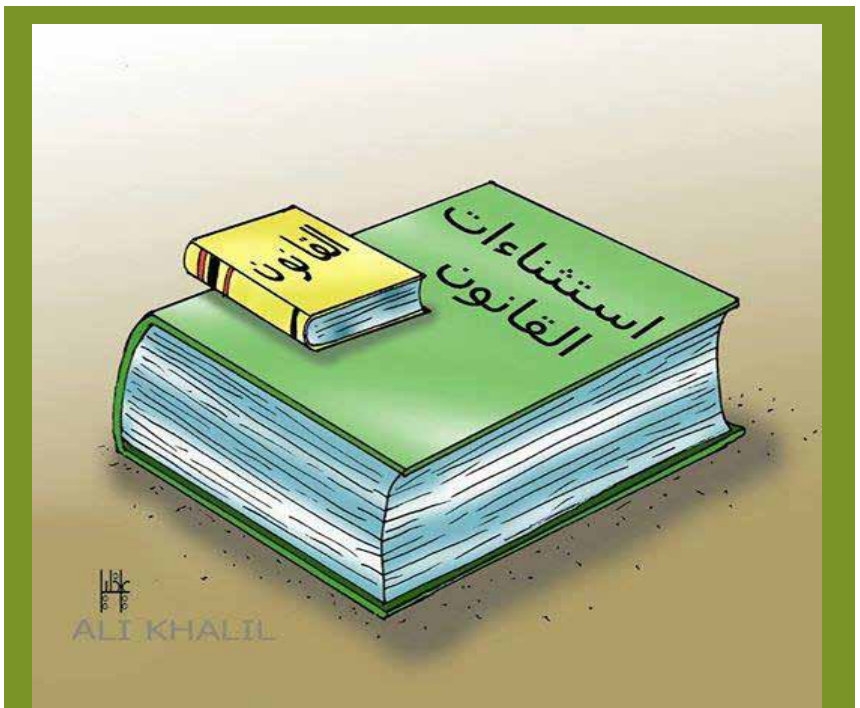

السياسة ..

عندما تموت السياسة تكثر المهازل..
يا ترى هل نحتاج الى من يبرهن لنا هذه الحقيقة، أم يكفى النظر الى واقع الحال..!!

شعارات ..

الشمس لايمكن تغطيتها بغربال، والحقيقة لايمكن تغطيتها بالشعارات..

جريمة ..

جريمة ، بل جريمة كبرى اختيار شخص جاهل لمنصب كبير ..!
وجود الجاهل فى المنصب الكبير أسوأ من اثر الفساد ، فالفساد سرقة ماهو موجود، والجاهل يهدد ماهو موجود، ويصادر الحاضر والمستقبل معا..!!

حقوق الانسان الى أين ..؟!

في الوقت الذى تشهد فيه بعض الدول ازدياد الصيحات باحترام حقوق الانسان، ويزداد عدد المراكز والمؤسسات والجمعيات الرسمية وغير الرسمية المعنية بحقوق الانسان وسيادة القانون، وتزداد أعداد من يقفزون إلى الواجهة حاملين صفة نشطاء في حقوق الانسان، وفى الوقت الذى تكثر فيه التقارير التي تشّيد وتمجّد في أوضاع حقوق الانسان والتصدي بحزم لانتهاكات هذه الحقوق في هذه الدولة العربية أو تلك ..

وفى الوقت الذى توّقع وتصادق فيه هذه الدول على وثيقة حقوق الانسان الدولية وغيرها من وثائق والتزامات تتصل باحترام كل الحقوق، وتحتفل هذه الدول باليوم العالمي لحقوق الانسان، وتؤكد التزامها بمبادئ الإعلان العالمي لحقوق الانسان، وتستغل هذه الدول الفرصة في هذه المناسبة او تلك لاستعراض الإنجازات والمكاسب على صعيد حقوق الانسان، الا انه من المضحك والمبكي في آن واحد أن نجد على صعيد الواقع العملي تزايداً في حالات انتهاكات حقوق الانسان ، وتزايداً في القيود التي تفرض على المجتمع المدني والجماعات السياسي..

التاريخ يعلمنا ..!!

«التاريخ لايقول وداعاً ، يقول سأراكم لاحقاً» .. مقولة للروائي الاورغوياني الراحل ادواردو غاليانو ، تمعنوا فيها وما تعنيه بالنظر إلى ما يجري حولنا، والذي لايحتاج الى توصيف..!!
والتاريخ من جهة أخرى يعلمنا أيضاً كما يقول كانط إننا لانستطيع أن نتعلم منه شيئاً، عبارة اخرى تستحق التأمل..!!

مداحون وأكاذيب ..

كثر، وفى أكثر من منبر وموقع وميدان، نجد أناساً مهمتهم صياغة أوهام عقيمة لا تفضي إلا الى المزيد منها، ومن ضمن هذه المهمة اختراع المعاني وكل ما يوهمنا بإنجازات تحققت، وأمر بالغ السوء حين يكون الحديث عن إنجازات لا يشعر بوجودها إلا المداحون والقوالون ومن يختبئون بكلمات الحق التي يراد بها باطل ...!!

جمعيات الضرر العام

جمعيات النفع العام تحول بعضها وباحترافية فريدة من بعض اصحاب المآرب الى جمعيات الضرر العام، لاحظوا ودققوا وتابعوا أوضاع بعض الجمعيات كي تتيقنوا ..!!

يحيا الوطن

المنافقون والفاسدون والجهلاء وعديموا الموهبة والكفاءة، هؤلاء أفضل صديق لما يسئ الى الوطن، وأفضل حليف للمتطرفين والارهابيين، حتى لو كانوا فى كل يوم، وفى كل مناسبة يهتفون «يحيا الوطن» و»نحن فداء للوطن» !!

الوقت يمضي .. فماذا نحن فاعلون؟

شهور قليلة ستمضي حتما من عام ألفين وسبعة عشر ومعها شهر وبضعة أيام من عام ألفين وثمانية عشر، وبانقضائها تكون قد مرت سبعة أعوام بالتمام والكمال منذ فبراير من عام ٢٠١١ وحتى فبراير من عام ألفين وثمانية عشر. الوقت يمضي ولا يرحم والقرار الصائب إن لم يتخذ في وقته، فإنه لا مجال للتراجع للخلف لاتخاذه ثانية، عندها نتوقف عند اللحظة لنردد «لو.. لو.. لو»، عندها «لو» لا تغني ولا تسمن من جوع، ولا تعدو أن تكون تعبيرا عن الأسف والحسرة.

شوقي العلوي

سبع سنوات وأكثر عجاف تكون قد مرت على البحرين عند موعد الانتخابات النيابية في نهاية عام 2018، فهل ياترى سنضيف إليها أربعاً عجاف أخرى كذلك، أم ستكون هناك كلمة أخرى يمكن قولها؟

كنت مع المقاطعة للانتخابات النيابية السابقة، وتلاسنت مع الرفيق الحزبي السابق (ع.ع) حول المقاطعة والمشاركة، والذي يظل رفيقا وصديقا عزيزا بالمعنى الاجتماعي، فلم يعد هو منتم للحزب، وأنا كذلك لم أعد منتم للحزب، وكثيرا ما نتجادل ونتباعد في بعض الرؤى، بالرغم من أنه أستاذي الكبير، وهو من قام بتنظيمي في (ح.ث.ش)، فعلى الجهات المعنية تصحيح معلوماتها في ملفي لديها، وهذا للتاريخ.

ربما كان من السهل في ظل الأوضاع وقت الانتخابات السابقة أن يقال فيها نقاطع أو نشارك، والجدل في المشاركة والمقاطعة قد يكون مقبولاً، حيث كانت هناك مساحة للقول والتعبير عن الرأي خارج ساحة المجلس النيابي، ومع ذلك ثبت بالواقع الملموس خطأ ذلك الخيار. اليوم ساحة التعبير والقول وإبداء الرأي لم تعد كما كانت، المساحة تقلصت كثيرا. صحيفتان مهمتان كانتا تمثلان مساحة مقبولة لحد ما للتعبير عن جانب من الرأي لم تعدا موجودتين اليوم. كما أن جمعية سياسية ذات وزن في التمثيل (وإن كنت مختلفا مع خطها واتجاهها)، ولكن إحقاقا للواقع فإنها كانت تمثل حجماً شعبيا رئيسيا في الحراك السياسي، ولا أدل على ذلك احتلالها لما نسبته 40٪ من مساحة المجلس النيابي، واحتلالها ثقلا يجاوز ألـ 50٪ من مجمل عدد الناخبين، واحتلالها أكثر من 50٪ من عدد المشاركين في الانتخابات، هذه الجمعية صدر حكم قضائي بحلها وتصفيتها، وتم تنفيذ هذا الحكم، لذا لم يعد هذا التنظيم موجودا بشكل قانوني، وإن كانت المساحة التي يحتلها حسب اعتقادي الشخصي لاتزال موجودة وصاحبة قرار وإن تكن قد تقلصت بعض الشيء. يضاف إلى ذلك صدور حكم آخر بحل وتصفية جمعية العمل الوطني الديمقراطي "وعد"، وهي جمعية من جمعيات التيار الوطني الديمقراطي، وهي تشكل ثقلا ملموسا في العملين السياسي والوطني، وقد كان لمشاركتها في دورتين انتخابيتين سابقتين (وإن لم يصل أحد من مرشحيها إلى قبة المجلس النيابي) ثقل ومعنى كبيران لا يستهان بهما، يقر بذلك حتى من يختلف مع هذا التنظيم السياسي. والحلقة تكتمل في هذا الجانب بجمعية المنبر التقدمي وجمعية التجمع القومي ضمن مكونات وثقل التيار الوطني الديمقراطي مع شقيقتهما "وعد". وإذا سار قرار حل وتصفية جمعية "وعد" طبقا للحكم الصادر من محمكة أول درجة عبر تأييد هذا الحكم استئنافا، فإن الساحة السياسية تكون قد خلت إلى حد ما من قوى أساسية هي جزء أساسي من العمل السياسي العلني، وكان الله في عون المنبر التقدمي والتجمع القومي، وسيكون ذلك موشرا لتراجع العمل السياسي العلني.

نضيف إلى ذلك ضعف وتقلص فاعلية جمعيات الإسلام السياسي السني، خاصة وأن المزاج الرسمي في البحرين وفي المنطقة لم يعد متحمساً للإسلام السياسي بكافة تنوعاته، خاصة تجاه حركة الإخوان المسلمين، وبذلك ستكون الساحة خالية من الفاعلين السياسيين الذين يمكن لهم أن يشاركوا في الانتخابات النيابية القادمة، ويعطوها بعض الزخم والفاعلية، وبما يؤدي إلى وصول عناصر في المجلس النيابي القادم يمكن أن تخلق توازنا مقبولا مع حزب الحكومة، الأمر الذي سيدعو الحكومة أن تحاسب لامحالة لرأي المجلس المنتخب، وإن كان لديها من صمامات الأمان ما يكفيها ويزيد.

الوقت مضى ويمضي، وقبل أن يمضي الوقت المتبقي وحتى يحين موعد الانتخابات القادمة، ماذا نأمل وماذا نتمني؟ نأمل ألا يتم حل وتصفية جمعية العمل الوطني الديمقراطي "وعد"، حتى يكون هناك بعض الأمل في استمرار عجلة العمل السياسي الشرعي. نأمل لجمعيات التيار الوطني الديمقراطي أن تتدارس بواقعية الواقع السياسي القائم اليوم في البحرين وفي الإقليم وأن تعيد النظر في خطابها والمطالب الآنية القابلة للنضال والعمل من أجل تحقيقها، ولا عيب في المراجعة والتراجع وبالتالي أن يكون لديها برنامج وطني واقعي للمرحلة الراهنة، على الأقل ان يكون قابلا للتعاطي معه خلال السنوات الأربع من عمر المرحلة النيابية القادمة.

وكما قلنا نأمل ألا يتم حل جمعية وعد، ولكن ماذا علينا العمل لو تمَّ حلها؟ حسب اعتقادي المتواضع أنه لابد لأعضاء وعد وبرفقة الجمعيتين المتبقيتين من جمعيات التيار الوطني الديمقراطي من دراسة معمقة للموقف من الانتخابات القادمة، هذا لا يمنع من التعامل بواقعية مع واقع الشارع السياسي الذي أصبح يحكمه الاسلام السياسي، وخاصة الاسلام السياسي الذي كانت تمثله جمعية الوفاق الاسلامية المنحلة، بأن تقبل العناصر الفاعلة في هذا التيار الوفاقي مبدأ المشاركة في الانتخابات القادمة ببرنامج وطني واقعي يرطب اجواء الساحة السياسية ويُمهد لمصالحة وطنية، المطلوب من عناصر هذا التيار أن تتجاوز تماما طريقة علاقاتها السابقة مع جمعيات التيار الوطني الديمقراطي، وعلى عناصر هذا التيار تجاوز ضغوط المرجعيات الدينية، وأن تباشر العمل السياسي والوطني مباشرة دون الخضوع لأية مرجعية دينية. وإذا ما تمَّ ذلك، فإنه يمكن تشكيل قائمة وطنية تدخل الانتخابات ببرنامج عمل وطني متفق عليه، وأن يتم تجاوز عقلية الكبير والصغير، ويمكن لهذه القائمة أن تضم عناصر وطنية هي خارج الالتزام الحزبي، والملزم لها فقط هو البرنامج الذي وافقت على أن تترشح بموجبه.

الوقت مضى ويمضي، وعلينا ألا نترك البقية الباقية منه من الآن وحتى موعد الانتخابات القادمة أن تمضي دون رؤية واضحة وموقف محدد يجب العمل بموجبها وبموجبه، مع إدراكنا التام بأن الجروح عميقة.

سبع سنوات وأكثر عجاف تكون قد مرت على البحرين عند موعد الانتخابات النيابية

الديمقراطية وضرورات الاصلاح

يحتفل العالم منذ سنوات باليوم العالمي للديمقراطية باعتباره صرخة في وجه الاستبداد والأنظمة الدكتاتورية والحكم الشمولي، القائم على القهر والحرمان وغياب العدالة بكل صورها، في مجتمعات لازالت ترزح تحت قبضة انظمة تحفل ممارساتها بالفساد وغياب الحريات وسحق أبسط قيم ومبادىء حقوق الانسان، على الرغم مما أحدثته التحولات الكبرى التي عاشها ويعيشها عالمنا المعاصر، وما ارتبط بها من تحولات ثقافية واجتماعية واقتصادية هائلة، وما أحدثته ثورة الاتصالات والتقدم العلمي والتكنولوجي من قفزات نوعية على المستويين الثقافي والاجتماعي تحديدا، حيث أصبح عالمنا بالفعل قرية صغيرة من حيث سرعة تداول المعلومة وسرعة انتقالها بين قارات وشعوب الأرض، علاوة على ما ارتبط بها من غزارة في نوعية وحجم المعلومات ومنسوب تدوالها وسرعة ويسر الوصول اليها، إلا أن الشيء الوحيد الذي ظلّ دون تغيير هو عقلية ونهج سلطات القمع والاستبداد وحكم العسكر والقبضة الأمنية المفرطة حول العالم والتي استمرت تلخص لنا مغزى احتفال شعوب العالم بهذا اليوم من اجل مواصلة النضال ضد الاستبداد والغاء ارادة الشعوب المتطلعة للحرية والتقدم.

عبد النبي سلمان

وكما نحتفي بأيام امية أخرى كاليوم العالمي لحقوق الانسان واليوم العالمي لحرية الصحافة واليوم العالمي للآجئين وضحايا الحروب واليوم العالمي للشفافية واليوم العالمي للمرأة واليوم العالمي للشباب والطفولة وغيرها، فاننا يجب ان نستمر في الاحتفال بيوم الديمقراطية العالمي، وكلها مناسبات تعبر بوضوح عن حجم النكوص الذي يشهده عالمنا ومنطقتنا العربية تحديدا في مستوى الديمقراطية والحريات العامة وحقوق الانسان فيها.

وفي زحمة ما يدور حولنا من صراعات وفتن وانقسامات ودعوات تقسيم أصبحت تتوارد سريعا بعد أن استنفذت طاقاتنا المادية والبشرية ومواردنا عبر عقود، ولا زالت، في حروب عبثية تحقيقا لمصالح دول عالمية واقليمة كبرى تسعى باستمرار لزعزعة استقرار بلداننا وتكريس تخلفنا عن ركب التطور العالمي، عبر ما تفتعله من حروب ومآس نعيش الآن في خضمها ونعاني من ويلاتها، دون ان نعلم طرق ومواعيد الخروج منها.

هذه الحروب التي دمرت أعز ما تملكه شعوبنا من ثروات وشباب ومقدرات، علاوة على ما رافقها من جرائم تجاه وحدة شعوبنا وسيادة اراضينا ودولنا، وتعديات على قرارنا الوطني، وحتمت أن تظل السجون مفتوحة ومليئة بعشاق الحرية والعدالة الانسانية، وهي تستنزف ثرواتنا المتآكلة والمتراجعة اصلاً عبر صفقات سلاح مليارية جنونية مستمرة، تحت ذرائع تحقيق الأمن والاستقرار، الا انها تفتح فرص التنمية والوظائف والتطور الصناعي وزيادة الاستثمارات في أسواق الدول الكبرى المهيمنة، وفي المقابل تزيدنا فقرا ومجاعة واستلابا وتخلفا وانقساما.

وأضحت المطالبة المشروعة بالاصلاح والديمقراطية جريمة يعاقب عليها القانون في العديد من دولنا التي اضحت متخلفة عن الركب الحضاري بسنوات ضوئية عديدة، ولا مجال لتجميل ذلك مهما حاولت ادوات الإعلام وكتاب الارتزاق، فيما تستمر الدول العالمية المهيمنة على القرار العالمي وفي مقدمتها الدول الامبيريالية في بسط هيمنتها وفرض ارادتها مستغلة تغييب شعوب عالمنا المبتلية بالاستبداد عن مواقع القرار والشراكة في صنع مستقبل بلداننا التي هي حتما تحتاج الكثير من الجهود المخلصة من اجل بناء مستقبل اوطاننا المدمرة بالجهل والتطرف والطائفية والتخلف والحروب المفتعلة والفقر والفساد ونهب الثروات.

واذ نحتفل معا باليوم العالمي للديمقراطية فمن نافلة القول أن نذكر ان انظمة الحكم في منطقتنا وعلى وجه التحديد في دولنا العربية دون استثناء، وإن بدرجات متفاوتة، باتت وبشكل ملح تحتاج الى سرعة اعادة صياغة علاقاتها المختلة بشكل كبير مع شعوبها على وجه اكثر وضوحا ومسؤلية وبعد نظر، بعيدا عن المكابرة ولغة الاقصاء وممارسات التهميش للقوى الحية فيها، وعبر ممارسة سياسات شفافة في عصر اضمحلت فيه الى حد كبير آساليب الرقابة المتعسفة، والنظر بجدية الى التحديات الحقيقية الشاخصة امامها كأنظمة حكم، هي مسؤلة دستوريا على اقل تقدير عن قيادة اوطانها وشعوبها الى بر الأمان، حيث لا يجدي مع هكذا اوضاع الاستمرار في سياسات الهروب الى الأمام كما جرت العادة.

خاصة وأن ما تواجهه دولنا بشكل مريع من اخفاقات وعجز وفشل مستمر في حل المشكلات، والاستجابة بموضوعية عوضا عن ذلك للتحديات المعيشية والاقتصادية والسياسية التي تعايشها مجتمعاتنا بشكل متزايد، جراء الاخفاقات المستمرة في الاستجابة بجدية ومسؤولية لتحديات ومصاعب عملية التنمية الشاملة، وبالتالي لمطالب الناس المشروعة في الحرية والعدالة وتكافؤ الفرص، علاوة على غياب سياسات الحكم الرشيد، كما تؤكد ذلك العديد من تقارير المنظمات الدولية وفي مقدمتها التقارير الدورية الصادرة عن الأمم المتحدة، حيث انعكست تلك الاخفاقات وعدم المبالاة بشكل مباشر على حياة الناس اليومية وتطلعاتهم نحو العيش بكرامة وحرية ودون سياسات تمييز، لا زالت معالمها تطبع بوضوح معالم حياة الشعوب في

بلداننا، والتي بدورها تؤثر سلبا في طبيعة العلاقات بين الأنظمة وشعوبها، على الرغم مما تؤكده دساتيرنا ومواثيقنا المكتوبة والمصادق عليها من حقوق وواجبات والتزامات متبادلة بين الدولة ومواطنيها.

من هذا المنطلق وانطلاقا من مسؤليتنا تجاه تعزيز وحماية حالة الاستقرار في بلادنا البحرين، فاننا نجد ان هناك فرصة حقيقية أمامنا جميعا حكومة وقوى سياسية ومجتمعية للنهوض ببلادنا على أكثر من صعيد، منطلقين من المعاني التي يمثلها اليوم العالمي للديمقراطية للمطالبة بضرورة أن تتجه كافة الأطراف المعنية باتجاه تحقيق مصالحة وطنية شاملة تنطلق اساسا من مضامين ما نص عليه دستور البلاد من بنود ومواد من شأن احترامها ان يحققق نسباً مقبولة من العدالة والمساواة للجميع، ويحفظ الحقوق والالتزامات المتبادلة بين الأطراف.

ومن المهم أيضاً الالتزام بما توافقت عليه جموع شعبنا عند التصويت التاريخي مطلع الألفية الجديدة على ميثاق العمل الوطني، الذي لا زال بمعية دستور البلاد يمثلان رافعة يجب الأخذ بها لعبور ما يعترضنا من تحديات اجتماعية وسياسية واقتصادية كبيرة، عجزت الدولة حتى الآن عن الوفاء بها كاملة جراء غياب الارادة السياسية القائمة على الشراكة في القرار وتراجع حالة الاستقرار بشكل عام خلال السنوات السبع الأخيرة وتردي الأوضاع المعيشية والاقتصادية للمواطنين جراء انخفاض اسعار النفط كمورد رئيس للاقتصاد الوطني وما افرزته السياسات الاقتصادية الخاطئة والمتخبطة من مديونية متضخمة واوضاع اقتصادية ومعيشية متردي، والتي بحد ذاتها تدلل على ما تحدثنا عنه من عجز وفشل رسمي نتيجة الاصرار على التفرد بالقرار الاقتصادي والسياسي طيلة عقود طويلة، اطلقت خلالها يد السلطة التنفيذية بشكل شبه مطلق في رسم السياسات الاقتصادية والاجتماعية، إلا أن الفشل كان هو المحصلة النهائية، والتي نجزم إننا ابعد ما نكون عن الخروج منها اذا ما استمر اهمال والغاء وتهميش عامل المشاركة الشعبية الحقيقية وغير المنقوصة في القرار الوطني.

ان ما تواجهه بلادنا البحرين على وجه التحديد من مصاعب اجتماعية واقتصادية وسياسية، وعلى الرغم من تعقيدات المشهد الوطني والانتظار المضني الذي فرض علينا، تحسبا لانتهاء حالة المراوحة والجمود السياسي في البحرين، والتي نعلم أن جزءاً مهما منها مرتبط بتعقيدات المشهد الاقليمي وانتظار الفصول الأخيرة من الحروب الدائرة من حولنا، الا اننا وبشيء من الارادة والتوافق والاصرار على استقلالية قرارنا الوطني وسيادة بلادنا نستطيع المضي قدما فيم لو توافرت الفرصة التاريخية للنهوض بالبلاد مجددا، بعيدا عن ما فرضته حالة الاستقطاب الاقليمي التي تضرب المنطقة، وكذلك اهمية امتلاكنا القدرة على المبادرة والفعل بدلا من الانتظار، وبعيداً ايضا عن المكابرة وحالة المغالبة التي لم تنتج لبلادنا سوى المزيد من الأزمات المتناسلة حتى الآن، يمكن لنا ان نعبر حينها ببلادنا الى الأمام خطوات من شأنها ان تعيد بوصلة اقتصادنا واوضاعنا الاجتماعية والسياسية الى جادة الصواب، وحتى نحفظ لبلادنا وحدتها واستقرارها ومواردها وثرواتها المضيعة، والتي بدونها لن تكون هناك تنمية حقيقية ولا يمكن ان نتأمل نجاحات لرؤى اقتصادية او توجهات تنموية يكثر الحديث حولها او حتى لسياسات أمنية أن تحقق الاستقرار والعدالة وتعطي للقرار الوطني وللدولة هيبتهما.

إننا نتحدث عن هذا كله بشيء من الحرية المزوجة بالخوف على مستقبل بلادنا وآمال أجيال شابة تعيش الآن بكل اسف حالة غير مسبوقة من القلق والتململ وعدم اليقين، وهي كما نعلم مستقبل الوطن وأمنه وأساس وحدته وازدهاره وتنميته المنشودة، التي علينا ان لا نسمح تحت أي ظرف باضاعتها او التفريط فيها، وهي مسؤلية تحتم علينا ان نستمر في النضال السلمي من أجلها بصدق ودون كلل، والاستمرار في طرح مبادراتنا ومطالبنا المشروعة بضرورة البدء سريعا في حل سياسي شامل، مقوماته الرغبة الأكيدة في اخراج البلاد من حالة المراوحة والانتظار ومغادرة تأزماتها القائمة، الى حالة مغايرة تماما واكثر ايجابية، بحيث نمتلك عندها القدرة على المرونة والعمل بواقعية سياسية ومسؤلية وطنية، تستلهم ما سبق أن أبدته وتعلمته قوى المعارضة السياسية والحكومة على حد سواء من دروس وعبر وتجارب سابقة ابان مراحل مصيرية من عمر وتاريخ هذا الوطن الجميل، وفي مقدمتها مرحلة الحوارات السياسية الجادة التي سبقت التصديق على ميثاق العمل الوطني، وما تلاها من نجاحات وانجازات ملموسة، على الحكومة والمعارضة ان تفاخر بها وتدلل مجددا على أهمية استعادتها والبناء عليها، بروح ومضامين وأفق سياسي أبعد وأنضج وأكثر انفتاحا على الآخر، ليبتعد بهذا الوطن عن المخاطر والفتن المحدقة به ويعيد قراره وهيبته لأبناءه جميعا دون استثناء بعيدا عن اي محاصصة او مغالبة سياسية لطرف او طائفة او قبيلة على حساب الآخر ولنتجه جميعنا لبناء وطن حر سعيد يكون أكثر أمنا واستقرارا وعدالة وتنمية وازدهارا.

أفكار حول تطوير أداء الجمعيات السياسية

تواجه الجمعيات السياسية صعوبات عملية الانتقال من العمل السري الى العمل العلني والتكيف مع متطلبات العمل السياسي والحزبي العلني في فضاء ديمقراطي نسبي أتاحه المشروع الاصلاحي لجلالة الملك، حيث تمكنت قوى المعارضة من مباشرة العمل السياسي العلني، وذلك عبر الجمعيات السياسية كبديل عن صيغة الأحزاب السياسية. هذا التكييف جاء مراعاة لمطلب الحركة الوطنية في حرية العمل الحزبي من جهة، ومراعيا للظروف السياسية المحيطة بالبحرين التي ترفض فكرة العمل الحزبي من جهة أخرى.

منصور حسين

هذه الجمعيات السياسية هي في واقع الحال مؤسسات اجتماعية وسياسية في آن واحد، ضمن مؤسسات المجتمع المدني، وهي مؤسسات غيرربحية، اي انها لا تشتغل بأي نشاط اقتصادي يدر عليها أرباحا أو خسائر. ولكن من حيث الجانب الإداري فإ هذه الجمعيات السياسية غير ربحية تشترك مع الجمعيات الربحية من حيث ضرورة أن تكون لكل جمعية من هذه الجمعيات السياسية رسالة نصية معلنة مثل (وطن حر وشعب سعيد) وأهداف كبرى، وخطة استراتيجية مرحلية (ثلاث أو خمس سنوات مثلاً) أو بعيدة المدى كأداة لتنفيد تلك الأهداف.

وهذا يستلزم اعادة هيكلة نظام عمل هذه المؤسسة السياسية العلنية، التي كانت تعمل في السر بنظام هيكلي قديم يستجيب لمتطلبات النشاط السياسي غير العلني، أما الآن فإن هذه الجمعيات السياسية في أمس الحاجة إلى اعادة هيكلة النظام الإداري الذي يتولى ادارة أنشطة الجمعية السياسية. فبدلاً من الاستمرار بذهنية وسلوك عمل الخلايا السرية وحصر العمل ضمن لجان داخلية في الجمعية، تمارس نشاطها في مجال محدود بعيدا عن ممارسة نشاطها وسط الجماهير، داخل احياء المدن والقرى.

هذه الجمعيات مطلوب منها تشكيل لجان للعمل السياسي العلني بين الجماهير، فليس لها حاليا سوى اللجان العمالية التي تتقاطع مصالحها مع سائرالعمال الذين يعمل بعض افراد هذه اللجان معهم في مواقع العمل ويتم التواصل معهم عبر تلك اللجان العمالية واتحادات النقابات العمالية، وهو المكسب الوحيد الذي بيد هذه الجمعيات السياسية.

وتعاني الجمعيات السياسية اليوم من أنها لا تملك صفاً ثانياً بديلاً، ففي الهيكلة الجديدة المطلوبة، يتطلب من كل جمعية سياسية أن تعمل على ادخال دماء جديدة من الشباب وتدريبهم واسناد مختلف المسؤليات اليهم، وتقديم العون ليصبحوا كوادر قادرة على استلام راية المسؤلية من القيادات القديمة التي يتقدم بها العمر، ومواصلة النضال السياسي من اجل ترسيخ الديمقراطية، و حماية حقوق الانسان وتحقيق العدالة والمساواة واقامة الدولة الحديثة.

> الجمعيات المعنية مطالبة باتباع نهج وأسلوب عمل سياسي حديثين يواكبان ويستجيبان لمتطلبات النشاط السياسي الديمقراطي

الجمعيات المعنية مطالبة باتباع نهج وأسلوب عمل سياسي حديثين يواكبان ويستجيبان لمتطلبات النشاط السياسي الديمقراطي، وهذا يتطلب من الجمعيات السياسية المرونة والقدرة على التفاعل والاستجابة للمتطلبات الجديدة. القبول بما هو متاح كحدٍ أدنى والاستمرار والمثابرة في المشاركة في كل دورة انتخابية لمجلس النواب والمجالس البلدية كمبدأ، والتخلي عن فكرة المقاطعة السلبية التي تفسح المجال للانتهازيين وغير الكفؤين لأن يترشحوا، وعينهم على الامتيازات المادية من العمل البرلماني، وهذا يتطلب من الجمعيات السياسية تهيئة وتسمية مرشحيها للعمل البلدي والبرلماني، تنفيذاً للخطة الاستراتيجية المرسومة مسبقا لكل جمعية. لا أن نتباحث في كل دورة انتخابية مع بعض الاعضاء إن كان لهم الرغبة في المشاركة أم لا. وبالتالي يصبح موقفنا حول المشاركة من عدمها مرتبط برغبات بعض الأعضاء. هذه ممارسة سياسة متخلفة وغير ديمقراطية وتنم عن ضعف في القدرة على التخطيط الساسي للمستقبل.

إن اهم مجالات العمل السياسي للجمعيات السياسية في وطننا هو تدعيم وتطوير التجربة الديمقراطية في البلاد رغم ما يشوبها من المعوقات الكثيرة، من خلال المشاركة في كل دورة انتخابية، التي تتيح لرموز وقيادات الجمعيات الاتصال بالناس والتحاور فيما يتصل بظروف حياتهم المعيشية وحول حقوقهم وحرياتهم وتظلماتهم من الفساد أو من القوانين التي تحتاج إلى تعديل أو تطوير، ومن أجل أن نتواصل مع المواطنين لرفع مستوى الوعي السياسي عندهم والاستماع إليهم والاستفادة من آرائهم.

ويتطلب العمل السياسي العلني إشاعة الشفافية بين الأعضاء ومحاربة الشللية وأجنحة الشقاق التي تكون ثمارها تنامي الخلافات وابتعاد بعض الأعضاء الذي ينتج عنه اداء سياسي متواضع وأقل فعالية، لأن في الخلافات بعثرة للجهود، الذي ينتج عنه عجز اعضاء الجمعية السياسية من العمل السياسي الفاعل والمؤثر.

إن البديل العقلاني عن الشللية في العمل السياسي الديمقراطي هو ترسيخ الممارسة الديمقراطية في الحياة الحزبية الخاصة بكل جمعية، عبر احترام تعدد الآراء ووجهات النظر، لإنهاء السلوك الشللي المعيق لتطوير الأداء السياسي، فحين يتمكن جميع الأعضاء من طرح وجهات نظرهم بشكل حر وعلني، خاصة عند اتخاذ موقف معين في مسائل مهمة وحاسمة تتعلق بشؤون الجمعية أو على مستوى القضايا الوطنية، ينشأ جو من الحوار الإيجابي الخلاق والبعيد عن الكيدية والتخندق.

بصراحة

في سبعينية اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي

مشاركات البحرين في مهرجانات الشبيبة العالمية

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في عام 1945، ودحر النازية على أيدي قوات الحلفاء وبروز الاتحاد السوفياتي كقوة عظمى في العالم وتشكيل دول المنظومة الاشتراكية، واتساع رقعة النضال الوطني ضد الهيمنة الاستعمارية والقوى الاستبدادية في العديد من بلدان العالم بقيادة حركات التحرر الوطني التي سوف تحصل على الدعم والمساندة من قبل الاتحاد السوفياتي والدول الإشتراكية وتصاعد دور اليسار وتحديداً الأحزاب الشيوعية والعمالية والتحفيز لقيادتها للتحولات الثورية والديمقراطية لاحقاً في أكثر من بلد في أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، بسبب تصاعد حركات التحرر الوطني التي كان الشباب يشكلون الثقل الأساسي فيها لهذا تشكلت العديد من المنظمات والاتحادات الخاصة بالشبيبة في تلك القارات، لهذا تداعت لعقد اجتماع لها في مدينة لندن لتعلن عن تأسيس اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي WFDY، في نوفمبر من عام 1945 كمنظمة شبابية تقدمية عالمية معادية للامبريالية تناضل من أجل الديمقراطية والتضامن الأممي والسلام العالمي، وتضم في صفوفها منظمات الشباب اليساري والديمقراطي من مختلف بلدان العالم، واختار الاتحاد مدينة بودابست عاصمة هنغاريا مقراً له.

سوف يقوم اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي في السنوات اللاحقة على تأسيسه بالعديد من الفعاليات والأنشطة، و أهمها على الإطلاق تنظيم مهرجانات الشباب والطلبة العالمية، بدءاً من المهرجان الأول في مدينة براغ عام 1947، من أجل السلام والصداقة والتضامن الأممي بين شعوب وبلدان العالم، لتستمر حتى موعد تنظيم مهرجان الشباب والطلبة العالمي التاسع عشر في مدينة سوتشي في روسيا في الفترة من 14 – 22 أكتوبر 2017 تحت شعار (من أجل السلام والتضامن والعدالة الاجتماعية نناضل ضد الإمبريالية) .

ويصادف تنظيم المهرجان التاسع عشر للشباب والطلبة العالمي في سوتشي الاحتفال بالذكرى المئوية لانتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا عام 1917 ، ويأتي انعقاد المهرجان في مدينة سوتشي الروسية بالذات للتأكيد على رمزية وأهمية تلك الثورة الاشتراكية التي غيّرت وجه العالم ووقفت إلى جانب الشعوب والبلدان التّواقة للحرية والاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي والسلم لتخلصها من نير الاستعمار والدكتاتورية.

شبيبة البحرين والمشاركة في مهرجانات الشباب والطلبة العالمية

أول مشاركة للشباب البحريني في مهرجانات الشباب والطلبة العالمية كان في المهرجان السادس في موسكو عام 1957، أي بعد ضرب هيئة الاتحاد الوطني في عام 1956 من قبل المستعمر البريطاني والرجعية، تقريباً بعد عام أو أقل، تكوّن الوفد من حوالي ستة إلى سبعة من الشباب الأغلبية محسوبين على اليسار أو من أصدقاء اليسار، أما المهرجان السابع فقد انعقد في فيينا (النمسا) في عام 1959، وشاركت شبيبة البحرين بشخص واحد، وهو المناضل الوطني والقائد الراحل علي دويغر، وعندما مشى في ساحة المهرجان وهو يرفع علم البحرين تضامن معه بعض الحضور و مشوا معه.

تلت ذلك مشاركة في مهرجان الثامن في هلسنكي (فنلندا) عام 1962م ، والتاسع في صوفيا بلغاريا عام 1968، والمهرجان العاشر في برلين في ألمانيا الديمقراطية عام 1973، حيث كان وفد البحرين مكوناً من ثلاثة أطراف الحركة الوطنية (التحرير، الشعبية، البعث)، أما المهرجان الحادي عشر فقد أقيم في في هافانا عاصمة كوبا عام 1978، في حين انعقد المهرجان الثاني عشر في موسكو عام 1985 وضمّ في قوامه ممثلين عن الشبيبة الطلابية والعمالية البحرينية، كما شاركت

فاضل الحليبي

شبيبة وطلبة البحرين في المهرجان الثالث عشر في بيونج يانج عاصمة كوريا الشمالية في 1989، ويعتبر هذا المهرجان هو الأخير في ظل وجود الاتحاد السوفياتي ودول المنظومة الاشتراكية، بعدها توقفت حركة المهرجان لمدة ثمان سنوات قبل أن تعود من جديد في عام 1997 بالمهرجان الرابع عشر في هافانا بكوبا، والمهرجان الخامس عشر في الجزائر في عام 2001، ولكن لم تسمح الظروف لشبيبتنا بالمشاركة فيهما.

ثم جاءت مشاركة شبيبة البحرين في المهرجان السادس عشر في كراكاس فنزويلا عام 2005، في ظل الانفراج السياسي في البحرين، لتكون ولأول مرة بشكل علني، وتلى ذلك مشاركتها في المهرجان السابع عشر في جنوب إفريقيا في عام 2010، فيما تغيبت عن المهرجان الثامن عشر عام 2013 في الأكوادور.

عضوية شبيبة البحرين في وفدي

منذ مشاركة الشبيبة الأولى في مهرجان موسكو عام 1957، برز اسم البحرين في المحافل الدولية ولكن المشاركة الثانية لشبيبة البحرين في مهرجان فيينا عام 1959، وإن كانت في شخص واحد سوف تعزز العلاقات مع «وفدي» والمنظماته الشبابية التقدمية العضوة فيه، وهذا يعود لمشاركة أحد مؤسسي جبهة التحرير الوطني البحرانية الرفيق الراحل علي دويغر في المهرجان، حيث عمل على توطيد أواصر العلاقات الرفاقية مع ممثلي اتحادات ومنظمات الشبيبة العالمية المشاركة والتي تواصلت معها الشبيبة فيما بعد من خلال المشاركة في المهرجانات والمؤتمرات والاجتماعات، وسوف تتعمق بشكل أقوى في فترة اتحاد الشباب الديمقراطي البحراني(أشدب) الذي تأسس في 16 مارس من عام 1974 إبّان مرحلة المجلس الوطني في أعوام 1973– 1975، حصل أشدب على عضوية عاملة باتحاد الشباب الديمقراطي العالمي عام 1976، ونسج علاقات واسعة مع اتحادات الشبيبة في العديد من بلدان العالم وبسبب تواجد ممثلين عنه في الخارج توسعت وتعمقت تلك العلاقات الرفاقية طوال تلك السنوات وكان له حضور بارز في المؤتمرات والاجتماعات واللقاءات والمهرجانات الشبابية في العديد من البلدان العربية والعالم ، ساهمت تلك المشاركات الفعالة في توصيل صوت الشبيبة البحرينية بجانب الحركة الوطنية الديمقراطية البحرينية المطالبة بعودة الحياة النيابية وإشاعة الديمقراطية والحريات العامة في البلاد أثناء مرحلة قانون أمن الدولة التي استمرت حوالي ربع قرن منذ حل المجلس الوطني في أغسطس عام 1975 حتى مرحلة الانفراج السياسي وميثاق العمل الوطني في فبراير من عام 2001.

بعد مرحلة الانفراج السياسي وتشكيل العديد من منظمات المجتمع المدني ومن ضمنها جمعيات شبابية، حيث تم أشهار أول جمعية شبابية في البحرين (جمعية الشبيبة البحرينية) في أبريل من عام 2002، بالإضافة إلى أنشطتها و فعالياتها في داخل البحرين، حصلت على عضوية في اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي، وفي سنوات لاحقة كانت ممثلة لدورة أو أكثر في المجلس المركزي (الإقليمي) لمنطقة الشرق الأوسط.

قراءة في واقع
الحركة النقابية البحرينية (١٩)

أزمة إقالة أحمد الخباز من عضوية نقابة بابكو

كما جاء في الحلقة السابقة بعد تقديم أحمد الخباز استقالته من مجلس إدارة نقابة عمال شركة بابكو «بسبب الإخفاقات الكثيرة التي شهدتها النقابة في الكثير من المجالات العمالية، على حد قوله» اتخذ مجلس الإدارة قرارا بفصله من عضوية النقابة، وهو ما خلق إشكالية دستورية حول عضويته في الأمانة العامة للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، وحول موضوع إقالة الخباز :»أكد مستشار الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين محمد المرباطي، عدم قانونية إقالة رئيس لجنة التثقيف والإعلام بنقابة شركة نفط البحرين (بابكو) الأمين العام المساعد لشئون الثقافة العمالية أحمد الخباز، من عضوية النقابة، مشيراً إلى أن الإدارة من حقها فقط «تجميد عضويته» استنادا إلى نص المادة (٤٥) التي تعطي الحق لمجلس الإدارة بتجميد العضوية بناء على موافقة الجمعية العمومية الاستثنائية." (الوسط العدد ٧٣٧ – الأحد ١٢ سبتمبر ٢٠٠٤م الموافق ٢٧ رجب ١٤٢٥هـ).

ابراهيم القصاب

وكان قرار الإقالة من عضوية النقابة لم تكن في حسبان الخباز، حيث كان قد أكد للوسط بعد تقديم استقالته مباشرة من عضوية مجلس إدارة النقابة بـ "لا علاقة لاستقالته من إدارة نقابة بابكو بمركزه في الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، إذ إن النظام الأساسي للأمانة يشير إلى ضرورة أن يكون عضو الأمانة عضوا في النقابة العمالية وليس في مجلس الإدارة (الوسط العدد 731 – الإثنين 06 سبتمبر 2004م الموافق 21 رجب 1425هـ)، ولكن القائمين على النقابة كانوا يستهدفون حرمانه من عضويته في الأمانة العامة أيضا وليس النقابة فقط.

بروز أزمة دستورية جديدة باستقالة الخباز من الأمانة العامة

واستمر الخباز في منصبه كأمين عام مساعد للثقافة العمالية والتدريب إلى أن قدم استقالته من الأمانة العام للاتحاد العام للانتقال للعمل في وزارة العمل في شهر إبريل 2005م، وهو ما خلق أزمة دستورية قبل وبعد خروجه من الأمانة العامة، فبعد أن تم استدعاء جمال عتيق رئيس نقابة عمال البريد كاحتياط خلفا للخباز، فوجئ بتخصيص منصب له هو «الأمين العام المساعد للأنشطة والحماية الاجتماعية» وليس المنصب الشاغر، الشيئ الذي رفضه لقناعته بأحقيته في منصب الأمين العام المساعد للثقافة العمالية والتدريب.

التجمع يحذر من خطورة تجاوز دستور الاتحاد العام

وحول الحدث أصدر التجمع بيانا جاء فيه: «يحذر تجمع النقابيين الديمقراطيين من مغبة النهج الذي تتبعه الأمانة العامة للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين في فرض أجندة الجهات المهيمنة عليه في ممارسة الإقصاء والتهميش للنقابيين خارج تحالف هذه الجهات، ويؤكد على أن الاستمرار في هذا النهج لن يخدم الدعوات لتوحيد الحركة النقابية، بل أنها تعمق الخلافات الحاصلة في الجسم النقابي ويؤزمها في اتجاه إضعاف وتفكيك الحركة النقابية. (تجمع النقابيين الديمقراطيين 20 إبريل 2005م)

وكان ذلك بمثابة إعلان الرفض التام لقرار الأمانة العامة للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين بتنصيب الأمين العام المساعد للقطاع العام مسئولا عن أمانة الثقافة العمالية بدلا من نقيب البريد جمال عتيق الذي خلف النقابي أحمد الخباز المستقيل من الأمانة العام، وجاء القرار ليعكس روح الهيمنة والاستفراد بالمناصب والمسئوليات في الأمانة العامة التي بنيت عليها التوازنات السياسية للجهات المهيمنة عليها، والتي تعتبرها استحقاقات غير قابلة للمساومة، على حساب الكفاءة والقدرة والإمكانيات التي يتمتع بها الأعضاء، وعلى حساب المصلحة العامة للعمال والحركة النقابية واستقلاليتها.

"وكما أكد التجمع في مناسبات عديدة على ضرورة احترام مبدأ استقلالية العمل النقابي بكل مستوياته وعدم المساس به، فأنه يؤكد على أن هذا القرار يصب في اتجاه تكريس الوصاية على الاتحاد العام والحركة النقابية عامة ويقوض أهم المبادئ النقابية، ويدعو الأمانة العامة إلى الالتزام بالنظام الأساسي للاتحاد العام وبالعمل على تكريس المبادئ النقابية الأصيلة، وهي مبدأ الديمقراطية والاستقلالية النقابية، وإلى الأخذ بما تقتضيه مصلحة الحركة النقابية في استلام النقيب جمال عتيق مسئولية أمانة الثقافة العمالية وعدم التلاعب بالمسئوليات النقابية لمصالح سياسية آنية. ويدعو كافة النقابيين للوقوف ضد هذه التجاوزات والخروقات لدستور الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، وأخذ دورهم في تصحيح هذا المسار الخاطئ وفرض احترام دستور الاتحاد من خلال ممارسة دورهم في الهياكل النقابية للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين." (المصدر السابق)

الوسط استقالة الخباز تثير الخلافات في «اتحاد النقابات»

وفي تصريح للوسط أكد نقيب البريد جمال عتيق على "أنه لن يستقيل من الأمانة العامة للاتحاد، وسيعمل في أي موقع لخدمة الحركة العمالية، إلا أنه سيرفض ما يملا عليه، مشيرا إلى أنه سجل اعتراضه على التوزيع الذي اعتمدته الأمانة العامة الجديد، بحيث أصبح هو الأمين العام المساعد لشئون القطاع العام، وأصبح خليفة الشملان الأمين السابق للقطاع العام أمينا مساعدا لشئون التثقيف.

وقال عتيق بشأن بيان تجمع الديمقراطيين الذي "حذر من خطورة تجاوز دستور الاتحاد العام" إن "إعلان التجمع جاء على أساس المراقبة والنقد للحركة العمالية"، مشيرا إلى أنه في تقرير التجمع توجد مخالفات للنظام الأساسي للاتحاد، ما سيؤدي إلى إدخال الحركة النقابية في مخاطر ولابد من وضع حد لها.

وأضاف عتيق أنه سيلجأ إلى الهياكل النقابية والمجلس المركزي باعتباره السلطة الثانية بين المؤتمرين والمراقب لدقة تنفيذ النظام الأساسي." (الوسط العدد: 965 | الخميس 28 أبريل 2005م الموافق 19 ربيع الاول 1426هـ)

وبسبب هذه الأزمة اتسعت حدة الخلافات مجددا في الساحة النقابية وبدأت تتصدر عناوين الصحف المحلية، مما انعكس على واقع الحركة النقابية وأفرزت جملة من التحديات التي بدأت تتحول إلى معوقات أمام تطور الحركة النقابية متزامنة مع الحملة المناهضة للعمل النقابي، قد تؤدي إلى إضعافها وتجريدها من كل أدواتها النضالية ما لم يتم التصدي لها بوحدة الحركة النقابية والتلاحم بين جميع النقابات العمالية والاتحاد العام لنقابات عمال البحرين في إطار تجاوز الخلافات الحاصلة في الجسم النقابي الذي تفاقم وتحول إلى صراع أثر سلبا على مجمل العمل النقابي.

خروقات جديدة للدستور والأزمات تتلاحق في الحركة النقابية

وبدأت الدعوات لرأب الصدع في الجسم النقابي تتعالى، خاصة بعد تصعيد بعض الإدارات هجومها على النقابات العمالية مستغلة الخلافات المتصاعدة بين النقابيين، وقد لعب كوادر تجمع النقابيين دورا كبيرا لحسم تلك الخلافات كما ساهم العديد من المهتمين بالشأن النقابي لحلحلة الأمور وتهدئتها وحصر الخلافات في إطار الهياكل النقابية للاتحاد العام، والتوجه موحدين للوقوف ضد الانتهاكات التي تصاعدت وتيرتها ضد النقابات العمالية والنقابيين، ولكن ما ان بدأت بوادر تهدئة حتى لاحت في الأفق بوادر أزمة جديدة كسابقتها.

فيما الاتحاد يبحث عن مخارج قانونية
تجمع الناقبيين الديمقراطيين يدعوه للتقيد بالنظام الأساسي له

تناولت الصحافة المحلية الخلافات في الساحة النقابية التي تصاعدت مجددا بعد نشر تصريحات حول عضو الأمانة العامة علي عبد الرحيم الأمين العام المساعد للشئون المالية والإدارية بعد تأكد استقالته من الشركة التي كان يعمل فيها واستقالته من نقابته، مما أثار الكثير من الجدل والشكوك حول شرعية استمراره في منصبه في الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين والتساؤلات حول جدية الأمانة العامة هذه المرة وفي هذه القضية التقيد بالنظام الأساسي وتنهي كل مظاهر الصراع الذي لم يتوقف منذ تأسيس الاتحاد العام، والبدء بتوحيد الصف النقابي والتلاحم في مواجهة المحاولات لتقويض العمل النقابي.

إلا أن الأحداث التي تلت استقالة الأمين العام المساعد للشئون المالية كشفت بأن الأمانة العامة لم تتعلم من الخروقات التي ارتكبتها في السابق ولم تكترث لانعكاساتها المدمرة على الحركة النقابية، فراحت تبحث عن ثغرات في النظام الأساسي لتثبيت علي عبد الرحيم المنتفية عضويته في الأمانة العامة، وإنهاء الاختلال الحادث في التحالف السياسي المهيمن على الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين.

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه لدرجة أن الأمانة العامة بعد أن فشلت في إيجاد ثغرة لتحقيق غرضها في تثبيت الأمين العام المساعد المنتهية عضويته راحت تستفتي بعض القيادات في الاتحادات النقابية العربية وكذلك بعض ممثلي المنظمات العمل العربية والدولية، وما أن حصلت على الضوء الأخضر حتى راحت تلوح بالفتوى وتؤكد على قانونية وشرعية استمرار عضوية الأمين العام المساعد للشئون المالية في الأمانة العامة.

وفي هذا الخصوص أصدر تجمع النقابيين الديمقراطيين بيانا أكد فيه على «أن محاولات إيجاد المخارج القانونية لإبقاء علي عبد الرحيم في الأمانة العامة ومواصلته لمهامه حتى بعد انتفاء شروط عضويته يعني أن الأمانة العامة لا زالت تعمل بعقلية الاستحواذ والإقصاء والهيمنة في محاولة لعدم الإخلال بالتوازنات السياسية داخل الأمانة العام للاتحاد، وهو ما لا يصب في مصلحة العمال ولا يخدم الحركة النقابية، بل أنه يؤدي إلى تعميق العزلة والأزمة التي يواجهها الاتحاد العام، ويثبت أن الاتحاد ماضي في سياسته هذه بالرغم من كل المحاولات التي يطرحها التجمع لرأب الصدع فيه.

وقد دعى التجمع الاتحاد العام إلى التمسك بالنظام الأساسي وتنفيذ بنوده وتجنب الخروقات الدستورية بحجة البحث عن مخارج وفتاوي قانونية محلية وعربية تبيح استمرارية عضوية الأمين العام المساعد للشئون الإدارية والمالية، وأكد على أن النظام الأساسي للاتحاد العام واضح وصريح فيما يتعلق بالحالات الاستثنائية التي تستمر فيها عضوية الأمانة العامة حتى انتهاء الدورة الانتخابية وهي في حالة الفصل التعسفي (المادة 47) وحالة بلوغ سن التقاعد (المادة 48)، أما غير ذلك فلا يجيزه النظام الأساسي وليس له أية شرعية قانونية.» (6 سبتمبر 2004م)

المجلس المركزي يرضخ لإرادة الأمانة العامة ويثبت عبد الرحيم

وقد استمر الوضع بين الشد والجذب حول موضوع عدم شرعية استمرار الأمين العام المساعد للشئون المالية والإدارية كعضو في الأمانة العامة للاتحاد العام، سواء كان ذلك على صفحات الجرائد أو في هياكل الاتحاد العام أو في تجمع النقابيين الديمقراطيين وفي النقابات العمالية أو في اللجان العمالية التابعة للجمعيات السياسية، وفي مقابل ذلك كان موقف الأمانة العامة هو الإصرار على عدم التفريط في علي عبد الرحيم وإبقائه في منصبه مهما كلف ذلك حتى لو أدى إلى شق الحركة النقابية، وليس ذلك وحسب بل أن الأمانة العامة بدأت تعمل بشكل محموم على الحشد لاجتماع المجلس المركزي الذي كان من المقرر انعقاده في وقت قريب لغرض الإقرار بدستورية بقاء عبد الرحيم في الأمانة العامة، وهذا ما حدث حين صوت الأغلبية في المجلس المركزي بشرعية عضوية علي عبد الرحيم في الأمانة العامة.

تجمع النقابيين الديمقراطيين يحذر من خطورة انتهاك دستور الاتحاد العام

وفي هذا الخصوص أصدر تجمع النقابيين الديمقراطيين بيانا أعلن فيه «عن رفضه لقرار المجلس المركزي بتثبيت عضوية الأمين العام المساعد للشئون المالية والإدارية علي عبد الرحيم في الأمانة العامة بعد أن انتفت عضويته منها بحكم المادة رقم (49) التي تشترط لعضوية الأمانة العامة أن يكون عضوا أساسيا في نقابته الأساسية وقابلا وجوبا للتفرغ النقابي، وهو ما يعد خرقا جديدا تقوم به الأمانة العامة للنظام الأساسي للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين خلال عام من تأسيسه.

ويؤكد التجمع إجمالا رفضه لكل الخروقات التي ارتكبتها الأمانة العامة خلال الفترة المنصرمة بهدف «حفظ التوازنات السياسية التي قام عليها الاتحاد العام، ويحذر من تداعياتها على مجمل الحركة النقابية، خاصة في ظروف تتسم بهجمة منظمة ضدها تستهدف النيل من الحركة النقابية وتفكيكها وإفراغها من مضمونها النضالي» كما جاء في البيان.

وفي الختام أكد التجمع على أن «متطلبات المرحلة الراهنة هو الحفاظ على وحدة الحركة النقابية والتصدي لكل المحاولات لتقويضها، والذي لا يمكن أن يتم إلا بالتمسك بالثوابت والمبادئ النقابية الواردة في النظام الأساسي للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين وعدم المساس بها أو تحريفها تحت أي ذريعة كانت أو الاستناد لفتاوي نقابية من أي كان. ويدعو التجمع الأمانة العامة إلى الإعلان وبجرأة عن انتفاء عضوية علي عبد الرحيم من الأمانة العامة واتخاذ الإجراءات اللازمة لدخول الاحتياط بدلا منه.» (10 إبريل 2005م)

مهداوي

كانت التنمية في البحرين في نهاية ستينيات وبداية سبعينيات القرن الماضي في بداياتها وكان التعليم بوجه خاص لا يزال في بداية انتشاره؛ فلم تكن الطفرة في اسعار النفط قد بدئت بعد وكانت الاوضاع المادية لأكثر العوائل والاسر البحرينية ضعيفة او متدنية وكانت الامية متفشية فيها إلى حد كبير. فغالبا ما تجد ان الاب و الأم في الغالب الاعم من الاسر أميين لا يعرفون القراءة والكتابة ولذلك لم يكن بإمكانهم مساعدة ابنائهم في التحصيل الدراسي .

فيصل خليفة

ونتيجة لهذه الاوضاع فقد كان مستوى التحصيل الدراسي للتلاميذ في تلك الفترة متدنياً وكان الرسوب والتأخر في الدراسة شائعاً بين التلاميذ. فلم يكن من الغريب ان تجد العديد من التلاميذ يعيدون الصف دراسي مرتين او اكثر وكان العديد منهم يترك الدراسة بعد ذلك قبل ان يتمكن حتى من فك الخط .

ولمعالجة ذلك ونتيجة للسياسة التعليمية المتبعة ولتدني المستوى العلمي للمدرسين فقد كان العقاب والضرب تحديداً هو الاسلوب الرئيسي المتبع في المدارس مع التلاميذ لحثهم على الانضباط والكد في الدراسة وكانت مقولة « العصى لمن عصا « هي المقولة المفضلة لدى المدرسين في تلك الفترة.

كنا حينها اطفالاً في المرحلة الابتدائية وكانت مدرستنا نحن أولاد فريج "السقية" تقع في منطقة السلمانية وكنا نذهب اليها كغيرنا من الفرجان المجاورة سيراً على الاقدام. كانت مدرستنا تسمى "مدرسة الملجأ " لأنها بنيت في الاصل لتكون ملجأً لأهالي المنطقة المحيطة الذين احترقت منازلهم المشيدة من سعف النخيل. بعد ذلك تم استبدل اسمها إلى «مدرسة العلاء الحضرمي" نسبة إلى اسم صحابي بعثه الرسول محمد إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الدخول في الاسلام ..

كان مبنى «مدرسة العلاء الحضرمي الابتدائية للبنين» كأغلب مدارس البحرين في تلك الفترة مشيداً على شكل مربع أو مستطيل تتوسطه ساحة واسعة تحيط بها الصفوف من جميع الجوانب. كانت هذه الساحة تستخدم في وقت الفسحة من قبلنا نحن التلاميذ كمتنفس لتفجير طاقاتنا المحبوسة اثناء الحصص الدراسية فما أن يرن جرس الفسحة حتى يخرج التلاميذ من الصفوف وهم يتراكضون ويجرون وراء بعضهم البعض.

كانت "لعبة الصيدة» هي اللعبة المفضلة لدينا في تلك الفترة لأنها كانت تشبع رغبتنا في الجري واطلاق طاقاتنا المكبوتة، وهي لعبة ينقسم فيها التلاميذ إلى فريقين تكون مهمة الفريق الأول الهرب جرياً وركضاً هرباً من الفريق الاخر الذي تكون مهمته اللحاق بأعضاء الفريق الأول إلى ان يتمكنوا من الامساك بهم جميعاً. وحينها تنعكس الآية وتتبدل المواقع فالفريق الذي كان صائداً يصبح هارباً والفريق الذي كان هارباً يصبح صائداً وهكذا يجرون التلاميذ ويركضون في الساحة وراء بعضهم البعض إلى ان يرن جرس انتهاء الفسحة فنعود مرة اخرى الى صفوفنا لاستئناف حشو أدمغتنا.

في تلك السنة من نهاية ستينيات أو بداية سبعينيات القرن الماضي نقل الى مدرسة «العلاء الحضرمي الابتدائية للبنين» مساعد مدير جديد كان معروفاً عنه أسلوب الشدة و العنف و الغلاظة في التعامل مع التلاميذ لإخضاعهم إلى قواعد الانضباط الدراسي والسلوكي وكانت سنحته المكفهرة تنسجم مع ذلك.

سبقته سمعته إلى المدرسة وبدأ التلاميذ يتحسبون لهذا القادم الجديد والذي فعلاً ما أن وطأت رجلاه المدرسة حتى بدأ في تطبيق أنظمته وقواعده الجديدة في الانضباط والجزاءات المترتبة على مخالفتها. وشيئاً فشيئاً راح يخيم على المدرسة اكثر من ذي قبل جو القلق والخوف والرهبة الذي كان قائماً من قبل ولكنه ازداد قتامة مع هذا القادم الجديد، فقد أوجد نظام «دفتر الطالب " وهو دفتر كبير موجود في كل صف من صفوف المدرسة يسجل فيه في كل حصة أسماء التلاميذ المقصرين ممن لم يقوموا بأداء الواجب المنزلي أو غيرها من الالتزامات الدراسية وهكذا يستمر التسجيل في جميع الحصص وفي نهاية الحصة الخامسة يحين موعد الحساب.

فيطوف فراش المدرسة على جميع الصفوف ويجمع الطلبة المسجلة اسمائهم في "دفتر الطالب» ويأخذهم إلى غرفة مساعد المدير الذي يكون مستعداً ومتهيئاً «بعصاه الخيزران» ليديقهم العقاب الذي يستحقونه عن هذا التقصير. ولم يترك قط مساعد المدير مهمة تنفيذ العقاب لغيره من الأساتذة، فقد كان يحرص على القيام بها بنفسه وكانت شخصية الشديدة المكفهرة تناسب هذا الدور الذي أوحى لأحد التلاميذ ممن عرف عنهم اطلاق الالقاب أن اطلق عليه لقب "الشمر» فاصبح معروفا به من قبل تلاميذ المدرسة.

كان التلاميذ ينتظرون وجلين وقلقين في الشمس أمام غرفة الإدارة خروجه لتنفيذ العقاب عليهم قبل نهاية الدوام، فما أن يخرج لهم حتى يأمرهم بالوقوف أمامه في صف واحد تلو الاخر ومن ثم يبدأ في تنفيذ عقوبة الضرب عليهم واحداً تلو الآخر، وعلى هذا النحو كان يستمر المشهد طوال ايام الأسبوع .

كان دفتر الطالب يشكل هماً كبيراً على قلوب الكثير من التلاميذ لا يعرفون كيفية التخلص منه، خاصة اولئك المتأخرين وضعيفي قابلية التعلم فكانوا يبحثون عن الذرائع والحجج والأسباب اثناء اليوم للتهرب من المدرسة. فكانوا يتذرعون بالمرض للسماح لهم بالذهاب إلى المستشفى أو لا يحضرون أصلا من الصباح إلى المدرسة.

إلا ان ذلك لم يكن كافياً فقد اوجد مساعد المدير الجديد اشكالاً أقوى للعقاب لتكون اسلوباً رادعاً في الحالات الاستثنائية، ولا أعرف كيف انتشرت في البداية بين التلاميذ أخبار عن نية ادارة المدرسة استخدام عقاب (الفلقة) أو (الجحيشه) باللغة الدارجة وهو عقاب كان يستخدم قديماً وهو عبارة عن اطار من الخشب توضع وتثبت فيها رجلي الشخص المراد عقابه وترفع إلى الأعلى ويتم جلد "المفلوق» على باطن قدميه .

وقد أخذت هذه الأخبار مع الايام تشيع بين التلاميذ ويزداد يوماً بعد يوم الاحساس الجماعي في المدرسة عن قرب موعد تنفيذها، ولا شك بأن هذا ر لم يكن خافياً عن علم الادارة إذا لم تكن هي أصلاً من بثتها. إلا أن الايام كانت تمضي ولم تنفذ (الفلقة) في أحد وفي فترة معينة بدا لنا نحن التلاميذ وكأن صورة وسمعة إدارة المدرسة أصبحت على المحك وإنها على وشك أن تهتز وبدا لنا أيضاً بأن هذا الإحساس أيضاً موجود لدى الإدارة ويضغط عليها وأصبحت المسالة على هذا النحو: هل تظهر الإدارة بمظهر الحازم والشديد كما كانت تريد دوماً، ام تبدو نوعاً من التهاون وتظهر في صورة العاجز والمتهاون في تنفيذ قرارتها.

بالتأكيد فإن الإدارة و مساعد المدرسة الجديد بشكل خاص لم يكونوا ليقبلوا على الإطلاق أن تسقط هيبة الادارة في أعين التلاميذ وان تتشوش الصورة التي رسمها مساعد المدير في المدرسة عن نفسه مند مجيئه وأن تضيع عبثاً جهوده التي بذلها حتى الآن.

في هذا الوقت بالذات بدأ البحث عن الضحية، أي التلميذ المناسب لدور المفلوق الذي ستطبق عليه عقوبة «الفلقة» ليكون "العبرة"، لكل المدرسة وحتى لا يشك أحد ولو للحظة أنه يمكن التساهل أو التردد في هذا الآمر.

لا أتذكر الآن تحديداً في أي صف كان حينها مهدي أو «مهداوي» كما كنا نطلق عليه، لعله كان ما بين الثالث إلى الخامس ابتدائي، ولعل عمره كان وقتها ما بين الحادية عشرة والثالثة عشرة، كان ابيض البشرة، ذا شعر أسود مفلفل، ممتلئ الجسم، وصاحب طبيعة مرحة، يتمتع بحيوية ونشاط وحركة يمكن أن تصل به أحياناً إلى درجة المشاكسة، ولكنه كان ذا قابلية محدودة للتعلم، إلا أن أكثر ما كان يميز مهداوي عن غيره هو أنه كان "أغلط» اللسان، أي أنه لا يستطيع التلفظ ببعض الحروف بشكل سليم ولربما بسبب هذه الميزات اختير "مهداوي" ليكون الضحية ويصبح "العبرة " للمدرسة.

في صباح ذلك اليوم الشتوي وكان الوقت هو الحصة الأولى أو الحصة الثانية كان فراشا المدرسة يقتادون مهداوي من غرفة الادارة الواقعة عند مدخل المدرسة وهما يمسكان به كل من طرف ويجرانه في اتجاه منتصف ساحة المدرسة، كان كل منهما يمسك بأحد ذراعيه في حين كان

مساعد المدير الجديد يسير ورائهم وهو يمسك بيده عصاه الخيزران.

كان مهداوي يصيح وينتحب بصوت مسموع وكان صوته مميزاً ذا طبيعة رنانة فكان يصل إلى جميع صفوف المدرسة فبدأ التلاميذ من صفوفهم وهم جالسون في مقاعدهم ينظرون من خلال نوافذهم المطلة على ساحة المدرسة ويراقبون ماذا يجري فيها، وحتى المدرسون اضطروا في هذه اللحظة إلى التوقف عن الشرح ومشاركة التلاميذ في النظر من خلال نوافد الصفوف إلى ما يحدث في الساحة .

عندما وصل الفراشان بمهداوي إلى منتصف الساحة بالضبط توقفا وأجلساه على الأرض وقاما بنزع حذاءه وتقييد رجليه في الإطار الخشبي للفلقة، ثم قام وكل واحد منهما يمسك بطرف من الإطار الخشبي للفلقة برفع رجليه إلى الأعلى، فكان باطن قدميه في وضع مهيأ للجلد. وبدا واضحاً ان اختيار المكان الذي سيتم تنفيذ فيه العقاب لم يكن جزافاً فقد لكل من في المدرسة أن يرى ما يجري، حين أخذ مساعد المدير الجديد ينهال بالضرب بعصاه الخيزران بقوة على باطن رجلي "مهداوي» الذي كان يصرخ بكل ما امتلك من قوة مع كل ضربة عصا تنزل على رجليه إلا ان المدير المساعد لم يعبأ لصراخه واستمر في توجيه ضرباته القوية الى رجلي "مهداوي» دون شفقة.

واستمر هذا المشهد من الضرب والصراخ لمدة من الوقت ربما كان دهراً بالنسبة إلى مهداوي إلى أن رأى مساعد المدير انه نفذ العقاب المطلوب أو قد يكون قد أحسَّ بالتعب فتوقف عن الضرب وانسحب مع عصاه عائداً إلى غرفته. ولا يمكن الجزم الآن بعدد الضربات التي انهال بها مساعد المدير على رجلي مهداوي قد تكون عشرين أو أقل أو أكثر قليلا، إلا انني لم ار أحداً تلقى مثل هذا العقاب من قبله أو من بعده .

بعد ذلك قام الفراشان بفك الاطار الخشبي للفلقة من رجلي مهداوي وحملاه معهمت وانصرفا خلف مساعد المدير إلى غرفة الادارة وبقى مهداوي ممدداً على الأرض يصرخ ويبكي بقوة ومن دون توقف واستمر على هذه الحال لما يقارب العشرين دقيقة، قبل أن يرجع إليه الفراشان، ربما بطلب من مساعد المدير، ليجداه لا يستطيع النهوض ولا السير على قدميه فقاما بمساعدته على النهوض، وحملاه إلى خارج الساحة الى مكان ظليل وبعيد عن الشمس وهو لا يزال يبكي بحرقة وبصوت مسموع من جميع التلاميذ في داخل الصفوف.

لا أعرف السبب وراء معاقبة مهداوي، ويقول احد زملاء تلك المرحلة أن السبب هو هروبه في أحد الأيام من المدرسة بتسلق حائط المدرسة، ومهما يكون السبب فإن مهداوي لم يكن ليستحق كل هذا العقاب القاسي وهدر كرامته الانسانية امام زملائه التلاميذ بهذه الطريقة المهينة المحطمة للشخصية .

لم يستمر مهداوي طويلاً في المدرسة بعد هذه الواقعة، بل أن أحد زملاءه يقول بأنه لم يعد اطلاقاً الى المدرسة بعد تلك الحادثة و تركها نهائياً، قبل أن ينهي المرحلة الابتدائية.

بعد سنين وتحديداً في سنة 1980 سافرت للدراسة الجامعية وبقيت ثمان سنوات في الخارج وقد كنت قبل مغادرتي قد علمت بان مهداوي انخرط في الحياة العملية، وأخذ يعمل في بيع الخضروات والفواكه، ثم عرفت انه انتقل الى تربية المواشي وبيع اللحوم وكان ناجحاً في عمله، وظهرت عليه لمن هم حوله علامات الثروة والبحبوحة. بعد عودتي من الدراسة علمت بأن مهداوي قد توفى بسبب تلقيه جرعة زائدة من المخدرات، وكان قد دخل السجن قبل ذلك ولا أعرف لماذا وكيف حصل ذلك، ولكن الواضح أنه في وقت من الأوقات بدأ في تعاطي وبيع المخدرات كما عرفت ممن كانوا على معرفة به.

لا أعرف ما الذي حداني لأن اكتب قصة مهداوي بعد ما يقارب نصف قرن من حدوثها. قد يكون ذلك بسبب نداء روحه لي بأن اكتب قصته من أجل انصافه، لأنه قد ظلم. هذا ما كنت أحاول أن افسر به لنفسي ما حدث لي عندما استيقظت مؤخراً في إحدى الليالي ومن دون أي مقدمات، وأنا على فراشي وفي وسط الظلام وإذا بعقلي يستعيد شريط قصة مهداوي وما حدث له في ذلك اليوم في ساحة المدرسة. او هي صحوة ضميري والحاحه علي بعد كل هذه السنين ومطالبته لي بالكتابة عن الحادثة لتبيان ما وقع على الطفل مهداوي من ظلم لم يستطع حينها الدفاع عن نفسه.

ربما ذلك وربما انني اكتب قصة مهداوي لأنها هي قصتي انا ايضاً لأنني أنا حتى الان لا استطيع التأكد فعلا ما اذا كنت قد وضعت فعلاً في خزانة الصف المظلمة كما هددني مدرس الصف في أول يوم لي أذهب فيه إلى المدرسة ما لم أكف عن البكاء، أم أن ذلك لا يعدوا كونه تصويراً لمخيلة طفل يتصور نفسه في وسط الظلام الدامس داخل خزانة الصف .

مرت السنين وكبرنا و تخرجنا من الجامعة والتحقنا بالعمل وتزوجنا وأنجبنا اطفالاً، نحن تلاميذ مدرسة العلاء الحضرمي الابتدائية للبنين في ستينيات القرن الماضي، وفي أحد الايام تشاء الصدف أن يلتقي احد هؤلاء التلميذ بمساعد المدير وكان قد شاخ "وتهتول" كما وصفه. يقول هذا الزميل سلمت عليه وذكرّته ببعض ما كان في تلك الايام، فرد عليه قائلاً: "نعم صحيح هذا حدث من زمان ولقد صنعنا منكم رجال» !!.

أما أنا ومن دون ان اقصد جالت في فكري مقارنة بين المصير الذي آل اليه مهداوي وما حدث له في ذلك اليوم في ساحة المدرسة، وتساءلت: هل توجد علاقة بينهما ؟ بالطبع ليس في مقدور أحد الان ان يثبت هذه العلاقة، ولكن السؤال لا يزال يلح.

2 أكتوبر اليوم الدولي للاعنف

دينا الأمير

يحتفل العالم باليوم الدولي للاعنف في 2 أكتوبر من كل عام، ويتوافق هذا التاريخ مع تاريخ ميلاد المهاتما غاندي، زعيم حركة استقلال الهند ورائد فلسفة واستراتيجية اللاعنف، والذي عمل على نشر ثقافة الحقوق المدنية في العالم. وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد وافقت في 15 يونيو 2007 بالإجماع على قرار قدمته الهند وساندته 142 دولة باعتبار يوم ميلاد المهاتما غاندى الموافق 2 أكتوبر «اليوم العالمي للاعنف» بكل أشكاله الاقتصادية والثقافية والإعلامية والدعائية.

ويعرف عالم الاجتماع جوهان جولتن العنف بأنه «ضرر يمكن تجنبه عند الوفاء بالاحتياجات الأساسية للإنسان مثل البقاء وتعزيز الرفاهية والهوية»، ما يعني أن أسباب العنف تعود للظروف المحيطة، لكن تعريفاً آخر يرى أن العنف هو «سلوك عمدي موجه نحو هدف، سواء لفظي أو غير لفظي ويتضمن مواجهة الآخرين مادياً أو معنوياً ومصحوباً بتعبيرات تهديدية، وله أساس غريزي» ويعني هذا التعريف أن العنف من الإنسان نفسه.

وإن اختلفت تعريفات العنف وأسبابه يظل مرفوضاً في كل الديانات والأعراف والمجتمعات، وتأكيداً لهذا الرفض أصدرت معظم دول العالم قوانين وأنظمة لمحاربة العنف والحد منه. واليوم الدولي للاعنف هو مناسبة لنشر رسالة اللاعنف، وتأمين ثقافة السلام والتسامح والتفاهم.

في السنوات الأخيرة ازداد العنف في العالم بشكل عام والعالم العربي بشكل خاص من خلال ما يطلق عليها الحركات والتيارات «الجهادية» التي ترتكب أعمالاً إرهابية بالغة القظاعة والوحشية. وقد شهدت بلدان عربية مثل العراق وسوريا واليمن وفلسطين وغيرها حروب وإرهاب واعتداءات مسلحة، وزاد عدد القتلى والجرحى وارتفع عدد اللاجئين والنازحين وتم تدمير المرافق الحيوية والبنى التحتية في هذه الدول ما نجمت عنه كوارث إنسانية.

وللحد من ظاهرة العنف يجب التركيز على نشر ثقافة التسامح والسلام بين الناشئة من خلال المناهج الدارسية والوسائل الإعلامية لتحصين الشباب والمجتمع من آفات العنف والإرهاب، واحترام الحياة والتعددية والتنوع الثقافي وحقوق الإنسان والحريات الأساسية وتعزيز المساواة في الحقوق والفرص.

وليس عبثاً أن يجري اختيار يوم مولد الزعيم الوطني الهندي المهاتما غاندي بالذات، ليكون هو نفسه اليوم العالمي للاعنف، فهو الذي قاد شعبه إلى الاستقلال بالطرق السلمية والمقاومة المدنية دون اللجوء للعنف، وحسبنا هنا أن نورد بعضاً من أقوله التي تلخص فلسفة اللاعنف:

- إن اللاعنف هو أعظم قوة في يد البشرية، وهي أقوى من أعتى أسلحة الدمار الذي اخترعها العقل البشري.
- اللاعنف يتطلب الإيمان المزدوج، الإيمان بالله والإيمان بالإنسان أيضاً.
- اللاعنف ليست ملابس نرتديها، هي موجودة في القلب، ويجب أن تكون جزء لا يتجزأ من وجودنا.
- هناك أسباب كثيرة قد أموت بسببها، لكن لا يوجد سبب واحد يدعوني للقتل.

«نصب اللاعنف – المسدس المعقوف» للفنان السويدي كارل فريدريك رويترز في مكانه خارج مقر الأمم المتحدة في نيويورك

«الثورات» العربية والفهم المغلوط

قاسم الحلال

عندما ننوي الحديث عن ثورة لا تزال أحداثها ساخنة، علينا أن نربط وقائع أحداثها اليومية بتاريخ قيامها، أي بالظرفين الموضوعي والذاتي لقيامها، أما أن تكون قراءتنا للأحداث على أساس المنطقة وما يجري من أحداث فهذا لا يعطي قراءة دقيقة لأحداث أي ثورة.

فقد قامت الثورة اليمنية، حيث امتدحوها في كل ربوع اليمن، رجالاً ونساءً بمشاركة مشرفة للمرأة، حيث أن مشاركتها مماثلة للرجل، كما أن كل فئات وشرائح المجتمع بكل أطيافه ومشاربه شاركوا في تلك الثورة.

لقد خرج شعب اليمن مطالباً بالعدالة والمساواة الاجتماعية، بالحرية والعيش الكريم، حيث قابله عسكر علي عبد الله صالح بالرصاص الحي، لكن الشعب أصر على مواصلة الدفاع عن حقوقه، حتى استطاع أن يسقط الطاغية علي عبد الله صالح، وسط ترحيب شعبي واسع.

وقد بدأ الشعب ان يرى طريقاً لبناء جمهوريته الديمقراطية، وبينما هو في هذا الطريق حتى إنقض فريق منفرد هم (الحوثيون) على مقدرات السلطة بكل أجهزتها العسكرية والمالية والاقتصادية، بدعم وتواطىء من علي عبدالله صالح والأجهزة الأمنية والعسكرية الموالية له، حيث انتهز الرئيس المخلوع الفرصة لاستعادة قوته ممكناً ذاته بالتحالف مع الحوثيين، الذين سرعان ما ساندوه، رغم مشاركتهم في الثورة عليه عام 2011، مما أدخل البلد مجدداً في حرب أهلية كان الشعب اليمني في غنى عنها، كان لها من الآثار الوخيمة على اليمنيين الشيء الكثير، حيث القتلى والجرحى والمصابين، وأخيراً تفشي الأمراض، خاصة (الكوليرا)، مع نقص الأدوية والغذاء والخدمات الصحية.

وليست أيدي الولايات المتحدة وأجهزتها الاستخباراتية بقيادة (C.I.A) ببعيدة عما يجري في اليمن، وعلينا عدم التسرع في استقاء الأخبار والمعلومات التي تدس السم في العسل، وللعلم فإن تواجد البارجات الأمريكية المتواجدة في عرض البحار لم يأت عبثاً، بل هي في كثير من الأحيان من يقوم باطلاق الصواريخ على اليمن، وذلك لخلط الأوراق في اللعبة العسكرية.

لقد جرى تعطيل مسار الثورة اليمنية وحرفها عن انجاز المهام التي قامت من أجلها بعد أن أطاحت برأس النظام الفاسد، الذي عاد إلى الساحة مجدداً كلاعب في الحرب الدائرة.

علي الوردي والخلاف السني الشيعي

جلال إبراهيم

في كتابه دراسة في سوسيولوجيا الإسلام يحدد علي الوردي جوهر الخلاف السني/الشيعي تاريخيا في ثنائية المثالية والواقعية. فبعد وفاة النبي محمد حدث الصراع بين الناس المثاليين المتمسكين بقوة بالقيم الدينية، وبين أولئك الذين تأثروا بصورة رئيسية بالميول الواقعية والمصالح الدنيوية للمجتمع المسلم من الطرف الآخر. ومن هنا فإن معضلة الإسلام تاريخيا – كما يرى الوردي– تكمن في «الصراع بين المثالية والواقعية».1

لابد من الإشارة بداية إلى أن الفرقة في التاريخ الإسلامي أسبق من الطائفة، وأن أصل الطوائف الإسلامية في العموم هو كيان الفرقة التي ترادف على مستوى السياسة مصطلح الحزب، وعلى المستوى الفلسفي والكلامي مصطلح المدرسة. وعليه فإن لا وجود للسنة والشيعة في العهدين النبوي والراشدي، فقد برزت الشيعة كطائفة منذ محمد الباقر (الإمام الخامس للشيعة الإثني عشرية) والطائفة السنية في زمن المتوكل العباسي، وإن ما جرى بعد وفاة مؤسس الدولة الإسلامية الأولى في المدينة كان صراعا سياسيا اجتماعيا بين المسلمين على الخلافة، وليس صراعا بين السنة (الواقعيين) و(الشيعة) المثاليين كما يطرح ذلك الوردي.

وإلا كيف نفسر قيام حروب الردة بعد وفاة النبي محمد، فهل كانت صراعا بين واقعيين ومثاليين؟ أم أن العوامل الأساسية لهذه الحروب تتمثل في الروح القبلية عند العرب وفي الخوف من أن يكون خليفة رسول الله على شاكلة كسرى وقيصر؟.

في جانب آخر يضع الوردي المذهب السني كممثل للحزب الحاكم، في حين يمثل المذهب الشيعي حزب المعارضة. ربما كرؤية عامة يصح هذا التصنيف، ولكن من حيث التفصيل التاريخي لا يستقيم ذلك. إذ من المعروف تاريخيا أن المعارضة الإسلامية في صدر الإسلام وفي الأوان الأموي وبداية الدولة العباسية كانت تتوزع على الكثير من الفرق والطوائف فيما بعد. بمعنى آخر أن المعارضة الإسلامية لم تكن محصورة في نطاق الشيعة، بل شاركتها في ذلك فرق وطوائف عديدة في مراحل مختلفة من التاريخ الإسلامي.

يرى بعض المستشرقين أن الاختلاف بين السنة والشيعة هو مشابه للاختلاف بين الديمقراطية وعقيدة الحق الإلهي، ويعزو هؤلاء ديمقراطية السنة إلى طبيعة العرب البدو الذين نشأ المذهب السني فيهم أصلا بينما عزوا الحق الإلهي لدى الشيعة إلى انقياد الفرس. في حين يؤكد الوردي أن أساس الاختلاف بين السنة والشيعة هو بين الواقعية والمثالية. أما بالنسبة ل(ديمقراطية)البداوة فهي تندرج تحت مصطلح اللقاحية التي تعني عدم انقياد سكان البادية إلى سلطة مركزية(الدولة) ولا تشير هذه (الديمقراطية) إلى أشكال السلطة وتداولها. لكن بالتأكيد أن نظرية الحق الإلهي التي طرحها الشيعة تعتبر متأخرة أمام نظرية الشورى التي لم يكتب لها الاستمرار والتطور التاريخي وبالتالي فشلها عمليا.

وفي العودة إلى ثنائية الواقعية والمثالية فإن الوردي يرى أنها تمثل إلى حد ما صراع (العبد والسيد) كما يعبر عنه نيتشه. إنه الصراع بين "نزعة التعالي والكرامة والواقعية ضد نزعة الخضوع والذلة والمثالية. الطرف الأول مهتما أكثر بتأسيس دولة بينما يهتم الطرف الآخر بتأسيس دين"2.

إذا ما رجعنا إلى مصادر التاريخ العربي الإسلامي سنجد أن جميع الفرق الإسلامية الكبرى ترجع إلى منشأ سياسي. كما تتفق هذه الفرق (الشيعة، الخوارج، القدرية، الجهمية...) في معارضتها للخلافتين الأموية والعباسية بالأساليب السياسية والعسكرية. وكان السبب الأساس لظهورها وتوسلها بهذه الوسائل هو سقوط الخلافة الراشدية وقيام الخلافة الأموية بنهجها الاستبدادي الذي عبر عنه مسلمو صدر الإسلام باصطلاح: (الملك العضوض) أي النظام الملكي القائم على القمع. لذلك لا نرى أن ثنائية (السيد والعبد) ولا ثنائية (الواقعية والمثالية) هي من حكمت العلاقة أو الصراع بين السنة والشيعة أو المسلمين عموما في التاريخ الإسلامي.

وفي هذا السياق اختلف المفكر العراقي هادي العلوي مع المفكر الليبرالي محمد أركون في أن جوهر الصراع في التاريخ الإسلامي كان بين الدولة المستبدة (الأموية والعباسية) والمعارضة الإسلامية، وكذلك ما بين الفرق السياسية والكلامية، وليس الصراع الطائفي بين المسلمين، خصوصا بين السنة والشيعة كما يطرح أركون.

وفي مسألة بقاء واستمرار الصراع السني/الشيعي، يرجع الوردي ذلك من أجل "تمثيل الصراع العويص بين المثالي والواقعي كان لا بد أن يكون هناك فريقان فقط، كما أتصور: يمثل أحدهما الواقعي وهو بهذا يدعم الخلافة، بينما يمثل الآخر المثالي وهو بذلك يعارض الخلافة. وكان لا بد للمذاهب الأخرى التي ظهرت هنا وهناك لأي سبب من الأسباب إما الانضمام إلى أحد الجبهتين الرئيسيتين أو الاضمحلال. وهذا ما حدث على ما يبدو في التاريخ المذهبي للإسلام"3.

بالمقابل يفسر هادي العلوي سبب استمرار الاستقطاب الطائفي السني/الشيعي، وانتهاء الاستقطاب السني مع (المعتزلة والصوفية والباطنية) إلى "الاتجاه السلفي للشيعة الإثني عشرية الذي يتقاطع مع أهل السنة في مجمل العقائد والأحكام الفقهية، وإنما اختلافهم في الإمامة وتكريس سيادة الإثني عشرية أو أهل السنة على العالم الإسلامي وهو يعكس واقع سقوط الحضارة الإسلامية الذي يعني في جوهره تراجع الفكر العقلي وتسيد الفكر السلفي ويفسر ذلك اختفاء الفلسفة والاعتزال وعلم الكلام وبقاء أهل السنة بوصفهم الجمهور الأعظم من المسلمين والشيعة الإثني عشرية بوصفهم أكبر الطوائف بعد السنة"4.

يبدو أن الوردي في تفسيره لعملية الصراع السني/الشيعي في التاريخ العربي الإسلامي وربطها بثنائية الواقعية والمثالية، وبوصفها المعضلة الكبرى في هذا التاريخ، تنطلق من بعد أساسي يتمثل في كونه عالم اجتماع درس في أمريكا وتأثر كثيرا بمناهج علماء الاجتماع من المستشرقين والغربيين، وبالتالي إسقاطه للعديد من هذه الاطروحات والنظريات الاجتماعية لهؤلاء العلماء على الأحداث التاريخية والاجتماعية من تاريخنا، والتي كثيرا ما تكون غير دقيقة وموضوعية في تشخيصها.

الهوامش:

علي الوردي/دراسة في سوسيولوجيا الإسلام/ الطبعة الأولى/ ص64

المصدر السابق ص151

المصدر السابق ص181

هادي العلوي/حوار الحاضر والمستقبل/الطبعة الأولى/ ص46

على خلفية دعوة الرئيس التونسي لمساواة المرأة في الميراث

قراءة النص في سياقه التاريخي

في يوم الأحد الموافق ١٣ أغسطس ٢٠١٧ نشرت وسائل الإعلام العربية تصريحاً مرئياً لرئيس الجمهورية التونسية الباجي قايد السبسي يدعو فيه للمساواة بين الجنسين وتكافؤ المرأة مع الرجل في الميراث. وأيضا قامت تونس بإلغاء الزواج الضرائري – تعدد الزوجات – منذ فترة وأباح السبسي للمرأة حرية اختيار الزوج ولو كان غير مسلم(١).

أحمد السعيد

توالت التصريحات المؤيدة والمعارضة لتونس في الأيام التي تلت؛ فقد صرح وكيل الأزهر عباس شومان قائلاً بأن ما يحدث في تونس هو أمر مخالف لقواعد وأحكام الشريعة الإسلامية، والمواريث مقسمة حسب الآيات القرآنية وأي مخالفة لذلك هي تعد على الإسلام. بينما استغل الداعية المصري «وجدي غنيم» وجوده في تركيا ليصرح بتكفير تونس حكومة وشعباً ووصفها بالدولة العلمانية، وذاك ما لم تقبله لا تونس ولا تركيا من غنيم

علينا أن نقرَّ أولاً وقبل أي شيء بأن لكل تشريع أي تشريع كان (بشري – عقلي –) أو (إلهي – ديني–) سياقاً تاريخياً يسير فيه، وسياقاً إجتماعياً آخر. أي بأنَّ هناك زمان ومكان يرتبط التشريع بهما. وحين نحاول أن ننزع عن هذا التشريع سياقاته التاريخية والاجتماعية لا يمكن أن نصل لحقائق علمية حول ما هي الغايات والأسباب التي دعت للتشريع، فيصبح في نظرنا هذا التشريع تشريعا كونياً بدل أن يكون تشريعا تاريخياً.

إن أي تشريع كان لا يمكن أن يتصف بالكونية، حتى لو اعتقدت فيه جماعة من الناس بأنه إلهي، فإن هذه الجماعة ستجد نفسها غير قادرة على جعل التشريع كونياً في لحظة ما لا من ناحية الممارسة ولا من ناحية الفكر نتيجة للتغير الدائم في الظروف الاقتصادية والتاريخية أو تطور القيم الأخلاقية، ولذلك لم يجعل الله شريعة سماوية واحدة له. إن الإنسان إذا ما أراد أن يسبغ على تشريعاته طابعا كونياً يضطر عندها للتأويل أو لتفسير يعطي التشريع دليلاً برهانياً يتماشى مع عصره. إذن ما يتحرك هنا هو العقل!

عندما يكون هناك تفسير وتأويل فذلك يعني أن الإنسان دائماً سواءً كان يؤمن بالمرجعية الدينية؛ أو بالمرجعية الفلسفية – العقلية البحتة – لاستنباط قوانين تنظيم المجتمع، فهو كائن إستدلالي – عقلاني – وإن كانت تقيده نصوص ثابتة مقدسة في الحالة الاولى بينما في الحالة الثانية هو خاضع لبراهين العقل الصرف. ولهذا نجد أحياناً وخصوصاً في الجانب الفلسفي في تاريخ الإسلام خروجات عقلية على حساب النص قوبلت بالهجوم من قبل الإتجاهات السلفية باختلاف مسمياتها المذهبية كما هي الحال عند الدروز – الإسماعليين في الأصل – والذين يتمركزون حالياً في لبنان وبعض المنتبذات السورية والمصرية.

أ– الميراث: في الجاهلية والإسلام، أوربا القرون الوسطى، والصين الاشتراكية!

إن أول ميراث تحظى به المرأة العربية كان بعد معركة "أُحد" التي جرت بين المسلمين وقبيلة قريش. أما قبل ذلك فكان الذكر هو الوارث الوحيد، وإذا لم يكن هناك ذكور بين الأبناء يذهب الميراث إلى العم. وبعد مقتل الصحابي سعد بن الربيع في "أُحُدْ" والذي خَلَّفَ ابنتين؛ جاءت زوجته تشكو النبي إستيلاء عمهما على الميراث حيث لم يترك لهما شيئاً، فدعا عمهما وقال له: اعط ابنتي سعد الثلثين وأعطي أمهما الثمن ولك مابقي. فكان ميراث سعد هو أول ميراث يقسم على البنات والأم. ونزلت بعد هذه الحادثة آية المواريث، وبالرغم من أن حصة التوريث كانت النصف إلا أنها كانت خطوة كبيرة للثورة الإسلامية في مجتمع كان يفرض الحرمان التام على النساء.

بالمقارنة مع الغير، نجد المرأة الأوروبية في العصور الوسطى وعصر النهضة محرومة من الإرث. وكان الإرث في بريطانياً يذهب كله للإبن الأكبر فتحرم منه ليس البنات فقط وإنما بقية البنين. وعند الساميين القدماء والسومريين أعطت شريعة أورنمو حق الإرث للبنت العازبة إذا كانت وحيدة والدها وتحرم منه المتزوجة التي تحظى بعائل. أما في الإسلام فكانت شاملة للأولاد جميعاً بنيناً وبنات، متزوجين وعزاباً. وكان من المنتظر أن يعاد النظر في الحصص بعد تطور نظم الإنتاج في المجتمع الإسلامي لتكون متساوية بين الجنسين، وهذا ما قام به الدروز حيث ساووا بين الإبن والإبنة في الميراث. والدروز مسلمون فلاسفة وليسوا فقهاء، هذا ما جعل تحكيم العقل عندهم متقدم على حاكمية النص الإلهي وتطوير شريعة جديدة، لا يتوانى البعض في القول بأن هنالك شريعة درزية مع أن ذلك لا يخرجهم من الاعتقاد بالثوابت الإيمانية في الإسلام.

وفيما يخص الاشتراكية فإن هذه المسألة ثانوية عندهم. ينقل المفكر

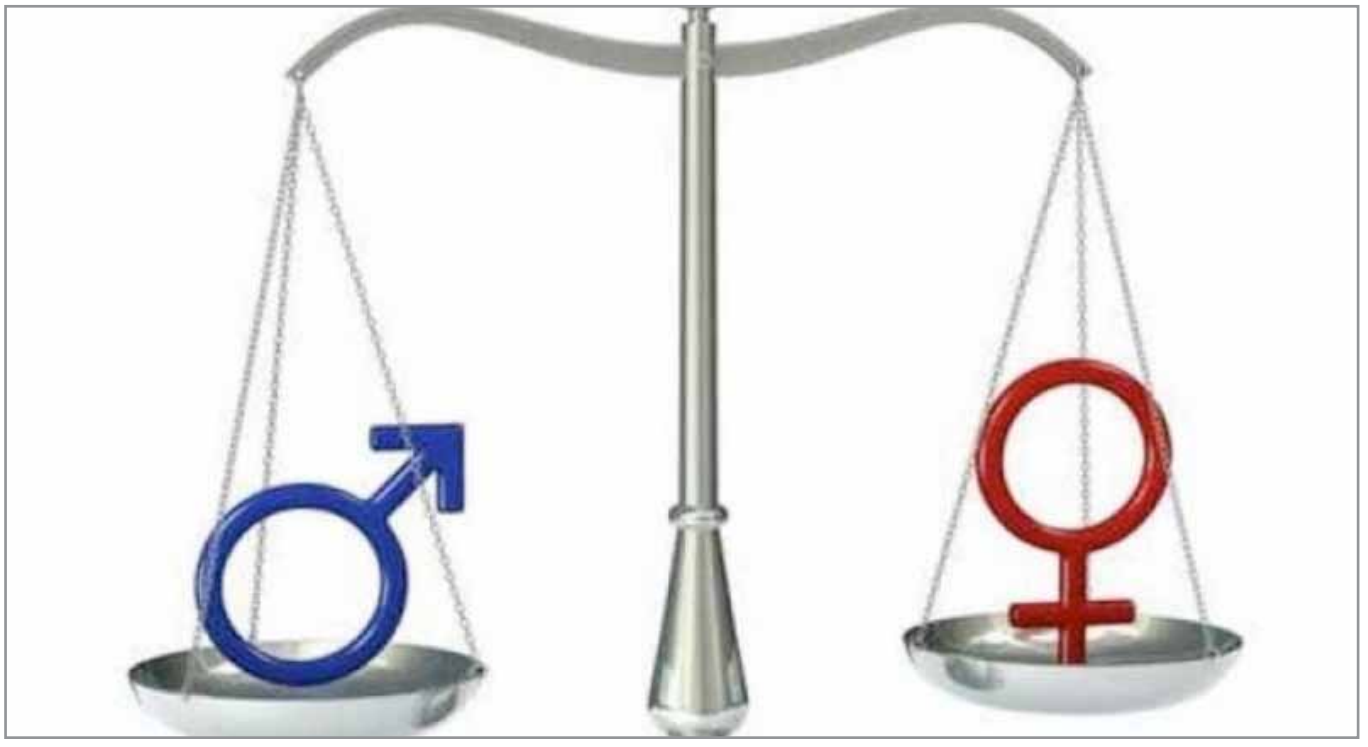

العراقي هادي العلوي عن زيارته للصين عام 1979 وهو عام الإنقضاض على نظامهم الشيوعي بأنه لم تكن لديهم مواريث بعد أن ألغوا الملكية الخاصة وأعادوا توزيع الثروة على الناس بالتساوي. فلا يبقى لدى أحد مال شخصي يوزع على الورثة. وفيما يخص المهور ألغت الصين المهر في عقد الزواج بصفة أن العلاقة الزوجية هي علاقة روحية في المقام الأول لا تقوم على لذة الرجل دون المرأة ولا يجب أن تدخل فيها مصارفات البيع والشراء. وفي المقام الثاني أن المرأة العاملة ليست بحاجة للمال. فتجري ترتيبات الزواج البسيطة بين العائلتين دون ذلك(2)

ب – رأي عقلي

هناك رأي عقلي لكمال الحيدري وهو شخصية إسلامية معاصرة، يقول بأن مسألة الميراث كانت ترتبط دائماً بالكيفية التي ينتج فيها المجتمع اقتصاده. ففي المجتمع البدائي لم يكن هناك توريث للمرأة لأنه لم يكن لها مشاركة في الحياة الاقتصادية، أما في المجتمع الزراعي فقد نزلت المرأة مع الرجل للعمل ولكن إنتاج الرجل كان ضعف إنتاج المرأة، لأن عملية الحرث والحصاد كانت تحتاج لجهد عضلي والرجل أقوى بدياً، إضافة لما يصيب المرأة من حالات كالحيض والحمل والولادة تجبرها على القعود. أما في المجتمع الصناعي الذي نعيشه اليوم فإننا أصبحنا نعتمد على الجهد الفكري وليس العضلي، وبه دخلت المرأة ميادين متعددة وقد فاقت نظيرها فأصبحت مهندسة ومعلمة وطبيبة، وقد يفوق دخلها دخل زوجها أحيانا، فهل يمكن أن نقول اليوم بأن النفقة يجب أن تكون على الرجل وحده، وإذا كانت المرأة تشارك الرجل في النفقة، فإن هذا النظام الإقتصادي يجب أن يحيل للمساواة في المواريث!(3)

ج – الزواج الضرائري وحرية الإختيار

يعتبر تعدد الزوجات من المسائل الجدلية اليوم بين المدافعين عن حقوق المرأة والإنسان وبين الفقه والتجديد الفقهي من داخل الإسلام نفسه. فالمسلم يبيح تعدد الزوجات لكنه لا يقبله من ناحية أخرى على أخته أو أمه أو ابنته. ما نتفاجأ منه حينما ننظر للتشريعات في سياقها التاريخي هو اننا نستشف أنها ثورات تتعلق بما يحدث على الأرض أكثر مما يتعلق بتاريخ السماء. فالإسلام لم يبح تعدد الزوجات إنما كان التعدد قائم وقد عرفته جميع المعاشر القديمة قبل أن تنتقل من حالتها البدائية – الأمومية – إلى حالة التحضر الأبوي – الذكوري –. وكان التعدد في الجاهلية بلا قيود، فقلصه الإسلام إلى أربع.

يورد هادي العلوي عن «المحبِّر» لابن حبيب أسماء مَن كانت لهم عشر زوجات فسرحوا منهن ست وأبقوا على أربع. أما لماذا لم يخطو الإسلام على خطى المسيح بإلغاء تعدد الزوجات وإقامة العائلة الوحدانية؟ فيعلل العلوي بأن نبوة محمد بعد فتح مكة أصبحت أقرب لنبوة موسى منها إلى المسيح، فهي نبوة دولة وليست نبوة خالصة كاليسوعية التي انتهت بضرب الدولة الرومانية لمعشرها منذ تكونه. وكان النبي محمد يهدف لتكثير عدد المسلمين بغرض توسيع الدولة الإسلامية ومن أحاديثه: «سوداء ولود خير من حسناء لا تلد» و «إني مكاثر بكم الأمم». وكان هناك قطبان إسلاميان لم يقبلا بتعدد الزوجات ولا بالتسري – إتخاذ السراري أو الجواري – وهما أبو ذر وسلمان الفارسي. لكن بعد توسع الدولة الإسلامية وعدم الحاجة لتعدد الزوجات كانت خطوتهما تنتظر ثورة أخرى هي ثورة الإسماعيلية و القرامطة اللتان ألغتا الزواج الضرائري ولو أنهما لم تستمرا شأنهما شأن التحولات الثورية المجهضة. وكان أكثر من دعا للعائلة الوحدانية وإلغاء تعدد الزوجات هو الفيلسوف والشاعر المسلم أبو العلاء المعري، وله بيت يقول:

قرانك ما بين النساء أذية لهن
فلا تحمـــل أذاة الحـــرائرِ

أما في ما يخص حرية اختيار الزوجة لزوجها فيُنقل حديث عن النبي: "لا تُنكح الثيب حتى تُستأمر ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن". والثيب هي من تزوجت سابقاً فامتلكت تجربةً ونضجاً يخولانها تقرير مصيرها واختيار طريقة حياتها. وتتفق جميع المذاهب بخصوص الثيب. والخلاف الأشد يقع فيما يخص البكر. فمن منطوق الحديث يجوز لها الرفض حتى لو وافق الأب على الزوج، وتبقى حرية الثيب أوسع من حرية البكر في الاختيار بحكم الفرق بين الاستئمار والإستئذان. وربما ما أثار حفيظة الحركات الإسلامية هو إعطاء تونس حرية أكبر للمسلمة من الزواج من غير المسلم.

تبقى تونس سباقة دائما في عصرنا الحديث لمثل تلك الخطوات العقلية وهي كما رأينا ليست الوحيدة ولا الأولى ولا الأخيرة في تاريخها التي تجعل حاكمية العقل متقدمة على حاكمية النص. وكان الصراع دائما ما يحكم تاريخ الإسلام بين الحركات السلفية والحركات الفلسفية، وصلت في أقصى مداها للتكفير وإباحة دم فيلسوف ما بتلك الحجة كما يصدر اليوم عن وجدي غنيم اتجاه التوانسة.

التشريع الإسلامي كما رأينا هنا لم يكن مجحفاً للمرأة بل كان متقدما على الجاهلية من ناحية الحقوق التي أتاحها لها. وإن نزعه عن سياقه التاريخي هو ما يجعل منا غير قادرين على فهم ذلك فنحاكم بعض تشريعاته بصفتها غير متوافقه مع التقدم الأخلاقي أو الاقتصادي الحالي، أو يقودنا لإزاحة الصفة التاريخية للتشريع فنجعل منه تشريعا كونياً واجباً لكل مرحلة تاريخة ولكل مجتمع مهما كان مختلفاً في نمط إنتاجه أو البنية الاجتماعية والاقتصادية عن بيئة مكة اثناء الدعوة الإسلامية.

(1) (يوتيوب) الباجي قايد السبسي: ماضون نحو المساواة في الإرث بين الرجل والمرأة

(2) فصول عن المرأة، هادي العلوي، الطبعة الأولى 1996، دار الكنوز – بيروت، ص47 و ص48

(3) (يوتيوب) كمال الحيدري ينتصر لحقوق المرأة

هذا هو المستقبل

في العام 1999 حضر مجموعة من مدراء البنوك في شتى أنحاء العالم، ومن ضمنهم مدراء بنوك عربية وخليجية، ورشةً عمل أقامها « school bank business " في جامعة كمبردج، وخلال الورشة سأل المحاضر: أتعرفون ما هو المستقبل ؟ فانبرى المتدربون في الإجابة على سؤال اعتقد الكثير منهم انه سهل ويحتمل إجابات عديدة، وأن الجواب قريب مما يود المحاضر سماعه، إلا أنه رفع هاتفه الجوال بيده وأجاب: هذا هو المستقبل.

عصمت الموسوي

نعم، فعبر هذا الجهاز سوف تعملون وتدرسون وتتطببون وتتواصلون وتفكرون، وسوف تقومون بكل العمليات البنكية من نقل حساب أو الحصول على قرض، وسوف تشترون سياراتكم وكتبكم واحتياجاتكم وغذاءكم، وسوف تحجزون عبره مقاعدكم للسفر بالطائرات أو القطارات او غيرها من الوسائل، وسوف تشاهدون الأفلام وتقرأون الصحف وتلعبون وتتسلون وتتزوجون وتتابعون مسار رحلاتكم الجوية والبحرية والبرية، وستتعرفون على جغرافيا الأماكن التي تزورونها ومناخها وطقسها وشوراعها وثقافتها، وسيتحول الجهاز إلى مفكرة تُدّون مقدار ما أكلتم وما حرقتم من دهون وما أنفقتم من مال، وهو الجهاز الذي سيكون أول ما تلمسونه عند الاستيقاظ من النوم كي تتعرفوا على مصاريفكم وتواريخكم وأعياد ميلادكم، وهو الذي سيقوم بتذكيركم بها كلما حلّ أوانها، وستكون قدرة هذا الجهاز بقدر البرامج التي يتضمنها، بل أن الأجيال الجديدة من هذه الأجهزة الذكية ستطرح تطبيقات لا تزال في علم الغيب.

صحيح، من كان يتصور أن كل تلك الأنشطة الحياتية ستتم عبر هذا الجهاز الصغير ؟ وإذا كان اقتناء هذه الأجهزة الذكية في ذلك الوقت مكلفا ومقتصرا على الميسورين والاختصاصيين فقد استيقظنا على زمن تحققت فيه بصيرة ذلك المحاضر وصار «المستقبل» في أيدي أغلب الناس، فقد سبقتنا هذه الأجهزة التي هي من صنع الانسان إلى المستقبل، ووفرت علينا الكثير من الوقت والجهد والمال، وأغنت معارفنا وأمدّتنا بالراحة والأمان.

لكن تعالوا نقارن بين رؤية ذلك المحاضر للمستقبل وبين بيئة الأعمال لدينا، حيث نجد خلو كثير من المؤسسات والشركات من مستشارين وخبراء يقرأون المستقبل ويقودون هذه المؤسسات إلى الوجهات الصحيحة، وطوال السنوات الماضية لم تتحسب دولنا ولا واضعي الاستراتيجيات أو قادة الأعمال لدينا لهذه المستجدات القادمة، فتنشأ الأعمال بشكل عشوائي وتعيش بالبركة او بمحض المصادفات، ولقد وجدنا الكثيرين يتوسعون ويقيمون المباني الكبيرة ويشترون المطابع الكبيرة في حين أن عالم الكتب والصحافة والإعلام برمته على سبيل المثال لا الحصر هو في طور تحول كبير، وقد استنتج منتدى دبي الإعلامي، في إحدى دوراته، أن الصحافة الورقية منقرضة وسوف نتجه إلى الصحافة الالكترونية، ولعقد مقارنة بسيطة بيننا وبين الغرب الذي يفكر، قارنوا تلك النبوؤة بموقف شهدته قبل عدة أعوام، فقد حضرت جلسة ضمت اعضاء مجلس إدارة إحدى الصحف اليومية الرائجة والواسعة الانتشار في ذلك الوقت وبين مستشار تلك الصحيفة بهدف معرفة مستقبل الصحيفة، هذا المستشار رسم عدة سيناريوهات حول وضع الصحيفة ومداخيلها واعلاناتها ومستوى توزيعها في حالة صدور صحف اخرى منافسة فقط، واكتفى بهذا العامل الوحيد ناسياً أو متناسيا الصورة الأكبر والأشمل لحال عالم الصحافة في غضون السنوات القادمة، وقد جرى ذلك الحدث في عام 2004، أي بعد ست سنوات من تلك النبوءة التي توقعت الاستغناء عن الصحيفة المطبوعة والاكتفاء بقراءتها الكترونيا عبر الهاتف الجوال أو الكمبيوتر، وليس هذا فحسب بل أن هذا المستشار نصح بمواصلة توسعة مبنى الصحيفة وتوظيف المزيد من الصحفيين وتوسعتها وشراء المطابع العملاقة لها، وما هي إلا عام او عامين حتى وجدنا الهاتف الجوال وشبكات التواصل الاجتماعي والمدونات والفيس بوك والتغريدات والصحف الالكترونية كلها تنافس الصحف المطبوعة وتعصف بها وتؤدي الى تدني توزيعها وتراجع قراءها وأرباحها .

هذه هو الفرق بين الاستبصار والتنبؤات القائمة على العلم والمعرفة والدراسات والأبحاث والمؤشرات الدقيقة وبين تلك الاستشرافات التي لا ترى أبعد من أرنبة الأنف.

(قف)

عن العلاقة بين الدين والسياسة والدولة

فهد المضحكي

بسبب عدم الفصل بين الدين والسياسية والدولة انفجرت خلافات وصراعات دامية، وحقيقة الأمر إن هذه الصراعات المزمنة تعود إلى حقب تاريخية قديمة مضت ولا تتعلق أسبابها بعامل واحد بل بعدة عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية ومذهبية وأخرى كثيرة داخلية وخارجية.

الباحث والكاتب بالتقدمي إسكندر نعمة كتب في جريدة «النور» السورية عن العلاقة بين الدين والسياسة والدولة وعن النزيف الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي الذي عم سوريا والعراق ولبنان واليمن وتونس وليبيا أي دول ما تسمى بالربيع العربي.

يتحدث نعمة عن المأساة والفوضى والقتل المجاني الذي ساد تلك الدول وعن الأسباب التي ساهمت في الصراع الدامي فيقول: «يجدر بنا عند تحري هذه الأسباب ودراستها، ان نتوقف عند سبب رئيسي جداً وهو خلط مقومات الدين مع مقومات الدولة». وبسبب ذلك انتشرت الكوارث الإنسانية بين الدول العربية والإسلامية والتخلف كذلك. وهكذا فأن هذه الخلط في رأيه – وهو على حق يؤدي إلى فساد الدين والدولة معاً.

ويكشف لنا التاريخ حقيقة ذلك، حيث ينقلنا نعمة إلى أوروبا في العصور الوسطى، مسلطاً الضوء على الكنيسة التي تتدخل في حياة الناس اليومية، ومن خلال هذا التدخل سيطرت على مرافق الحياة العامة ومقاصل الدولة والحاكمين، وكانت اية محاولة للإصلاح والتطور تواجه بالقمع، واية فكرة جديدة تُصد بوسائل قمعية فظيعة بذريعة الحفاظ على القديم والأصول.

فاضطهد العلماء من أمثال كوبرنيكوس وغاليلو، وكثيرين غيرهم من رجال الفكر النيِّر المتطور، ولكن ما أن صحا المجتمع الأوروبي ومؤسساته ومنظماته في القرن السادس عشر الميلادي حتى أعلنت قرارات رائدة عقلانية علمانية تقضي بفصل الدين عن السياسة والدولة.

بعدها انتعشت واغتنت تربة التقدم الحضاري بكل ابعاده وجوانبه، فقد زرعت بذور عصر النهضة الرائدة الذي دفع بكل أوروبا إلى الأمام، كما برز دور المفكرين والكتاب والفلاسفة والفنانين المبدعين، وفتح الباب واسعاً أمام نهج التطور والاختراع والاكتشاف، الأمر الذي أوصل أوروبا إلى ما هي عليه الآن من تطور علمي وثقافي وحضاري في كل جوانب الحياة والإنسانية.

في حين أن البلاد العربية والإسلامية قاطبة لاتزال تعاني من الآثار السلبية لعصور الانحطاط التي مرت بها أوروبا في العصور الوسطى وللأسباب ذاتها، على الرغم من اختلاف الدين، فان هذه المعاناة ليست حديثة بل تعود إلى زمن إبن المقفع. ومن هنا يتساءل: لماذا لا يتعلم العرب والمسلمون من تجارب التاريخ، ويختصرون عصوراً قائمة من السواد والفوضى والقتل والدمار والمآسي؟

لاشك ان الإجابة على هذا السؤال تعود إلى استبداد النظم وإلى خلط الدين بالسياسة والمؤثرات الخارجية. وبهذا المعنى قد يصلح الدين لبناء مجتمع ما في حالة غياب الدولة كما كان الحال في الجزيرة العربية قديماً حيث لا موارد عيش ثابتة فيها، ولا كيانات اجتماعية متبلورة، ولا سلطة تملك السيطرة ولا كيانات اجتماعية متبلورة، ولا سلطة تملك السيطرة على مرافق الحياة، ولا ضوابط للقبائل المنتشرة والمتنقلة، الأمر الذي جعل الغزو والسبي والاعتداء شائعة ومشروعة!

أما الآن لقد تغيرت الأحوال والمقاييس واحتياجات الدولة وأصبح العالم عالماً صغيراً ومتواصلاً ومليئاً بالتجارب الإنسانية الناجحة والفاشلة، وعلينا ان لا نتقوقع في كهوف الماضي!

ما أراد نعمة الوصول إليه هو عندما يسعي أدعياء الدين والتدين إلى مركز السلطة والقرار عبر الوصول إلى الحكم تصبح البلاد في خطر. فعلى مدى أحقاب عديدة لعب بعض السياسيين بالدين وارتدوا عباءة دين مزيفة لتحقيق مصالحهم وثرواتهم، ولعب رجال دين بالسياسية لتحقيق مصالحهم الذاتية شهوات الحكم والتسلط فماذا كانت النتيجة؟ كانت انهيار لكل القيم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى الروحية.

وأما في الوقت الحالي ثمة حقيقة سائدة في العديد من الدول العربية والإسلامية وهي لم يعد الدين أحد وسائل الاطمئنان النفسي والحياتي، بل بات سلاحاً خطراً يشهر في وجه الآخر لغاية الوصول إلى السلطة!

والأكثر من ذلك فإن التيار الديني – كما يوضح المفكر محمود أمين العالم – يعتقد أنه يحتكر الحقيقة ويسعى إلى إقامة سلطة دينية بمقتضى هذا الاعتقاد وبالتالي ستكون المشروعية في المجتمع مشروعية صادرة عن تصور خاص محدد للدين، ومعالجته لمختلف الأمور الدنيوية بمقتضى هذه الرؤية الدينية المحددة.

العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ستقلص وتحدد وتوضع داخل هذا الفهم المحدد، وهذا يتحقق بالضرورة بفرض متعسف باسم الدين مما يعني الخطر على المجتمع المدني الذي لا ينمو ويتطور إلا على أساس حرية الاختلاف والنقد وضرورة المشاركة الديموقراطية وحرية الابداع وضرورة التجديد والتحديث.

وفي تقدير العالم أن هذا الفرض من أعلى لمفهوم معين للدين سوف يعطي للسلطة سمة مقدسة وبالتالي، فإن كل اختلاف معها سيكون اختلافاً مع الدين بحسب فهمهم. وهذا ليس خطراً على المجتمع المدني فحسب ولكنه خطر على المجتمع نفسه في بنيته الأصلية.

وهذا ينقلنا إلى أهمية فصل الدين عن السياسة والدولة لأن هذا الفصل يشكل دعماً للدين يحافظ على قدسيته ورسالته وكذلك ضماناً لدولة المؤسسات الناجحة في ظل مجتمع تسوده الحقوق والواجبات وفي ظل شعار (الدين لله والوطن للجميع).

شبحها ما زال يطارد الرأسمالية

الماركسية بين الأمس واليوم – ١٠

الديالكتيك (الجَدَل) والعِلم

يتعامل الكثير من العُلماء مع الفلسفة بإزدِراء. بقدر ما يتعلق بالفلسفة الحديثة، فإنها تستحق هذا الإزدِراء. فعلى مدى القرنٌ والنُصف الماضية من الزمن فإن مجال الفلسَفة يُشبِه الصحراء القاحِلة التي ليس بها سوى ملامح من الحياة. إن لُقطة الماضي الثمينة، بِبَهائها القديم وومضات إشعاعُها، يَبدو أنها انطفأت كُلياً. ولا يقتصر الأمر على العُلماء فحسب، بل الرجال والنساء سوف يبحثون عبثاً في هذه الأرض الجرداء عن أي مصدر للنور.

ترجمة:
غريب عوض

بقلم: ألان وودز Alan Woods

ورغم ذلك فإن نظرة فاحِصة إلى الإزدِراء الذي عبر عنهُ العُلماء حول الفلسفة سنجِدُ أن ليس لهُ مُبررٌ قوي. لأنهُ لو نظرنا إلى حالة العلم الحديث نَظرةٌ جادة – أو بتعبير أدق، إلى فرضياته ودعائم أُسُسُ نظرياته، سنرى أن العلم في الحقيقة لم يُحرر نفسه أبداً من الفلسَفَة. فحينما تُطرَد الفلسفة بفظاظة من الباب الأمامي، فإنها تَلِجُ خلسةً من النافذة في الخلف.

إن العُلماء الذين يُؤكدون بِفَخر عدم اكتراثهم الكامل بالفلسفة هم في الواقع يطرحون فرضيات مُتعددة ذات صفات فلسفية. وفي الحقيقة، إن هذا النوع من الفلسفة غير الواعية وغير الانتقادية ليست أرقى من النوع القديم وإنما هي أدنى مَنها بما لا يُقاس. بالإضافة إلى أنها مصدر للكثير من الأخطاء في المُمارسة.

إن التقدم العِلمي المُذهِل على مدى القرن الماضي يبدو أنهُ عَطَل الفلسفة وجعلها زائدة عن الحاجة. ففي عالَمٌ حَيثُ نستطيع النفاذ إلى أعمق خفايا الكَوْن ونَتَتَبع الحركات المُعَقدة للجُسيمات دون الذرية، فإن الأسئلة القديمة التي شدت انتباه الفلاسفة تمت الإجابة عليها. فقد تم في المُقابل التقليل من دور الفلسفة. غير أنهُ، إذا أعدنا تكرار الموضوع، فَهناك مجالين اثنين حيثُ تحتفظ الفلسفة بأهميتها: المنطق الصُوري والديلكتيك (الجَدَل).

وكان التقدم المرموق في تطبيق الأسلوب الديلكتيكي (الجَدَلي) على تاريخ العِلم، هو صدور الكتاب المُذهل «بُنية الثورات العِلمية» في عام 1962 للكاتب توماس ساميول كون Thomas Samuel Kuhn. يَعرِضُ هذا الكتاب حتمية الثورات العِلمية ويُبيّن الآلية التقريبية التي تحدثُ من خلالها هذه الثورات. "إن كل ما هو موجود يستوجب أن يُفنى" هذا شيءٌ حَسن ليس للكائنات الحية فحسب بل للنظريات العِلمية أيضاً، ومن ضمنها تلك التي نعتَبِرُها صالحة إلى الأبد.

في الحقيقة، كانَ أنجلز مُتفوقاً على مُعاصِرِه (مُعظم العُلماء) في موقِفِهِ من العلوم الطبيعية. فهو لم يقتصر على توضيح أن الحركة (الطاقة) لا تنفصل عن المادة فحسب، بَل وضح أيضاً أن الفرق بين العلوم كامنٌ فقط في دراسة الأشكال المُتعددة للطاقة والتحول الديلكتيكي (الجَدَلي) من شكلٌ من الطاقة إلى شكلٌ آخر. وهذا ما يُعرف الآن بالتحولات الطورية.

لقد رفض الارتقاء العِلمي بأكمله في القرن العشرين التقسيم الفئوي القديم، واعترف بالتحول الديلكتيكي (الجَدَلي) من علم إلى آخر. وأقد أثار ماركس وأنجلز في زمنهما السخط بين مُنافسيهُما، عندما قالا، بأن الفرق بين المادة العضوية والمادة غير العضوية هو مُجرد فرقٌ نسبي. وذكرا أن المادة العضوية – الكائنات الحية الأولية – ظهرت من المادة غير العضوية في زمن مُعيّن، تُمَثّلُ قفزة نوعية في الإرتقاء والتطوّر. وذكرا أن الحيوانات، من ضمنها الإنسان بِذهنِه وأفكارِه ومُعتقداتِه هي مُجرد مادة مُنَظمة بطريقة مُعيّنة.

لقد تم حذف الفرق بين المادة العضوية والمادة غير العضوية، الذي اعتبرها عمانويل كانط Immanuel Kant حاجزٌ لا يُتَخطى، كما يُشير إلى ذلك البروفسور ريتشارد فينمان: "كلُ شيء يَتَشكل من الذرات. وهذه هي الفَرَضية الأساسية. على سبيل المثال، إن أهم الفَرَضيات في عِلم الأحياء هي أن كُلُ ما يفعلَهُ الحيوان، تفعَلَهُ الذرات. وبتعبير آخر، ليس هُناك أي شيء تفعلهُ الكائنات الحية لا يمكن فَهمه من رؤية أنها مُكَوّنة من الذرات، تتصرف وفقاً لقوانين الطبيعة." (R. Feynman، Lectures on Physics).

من المنظور العلمي، الرجال والنساء هُم تَجَمُع من الذرات مُنَظَمة بطريقة مُعيّنة. ولكننا لسنا مُجرد تَكَتُل من الذرات. فجسم الإنسان هو كائن عضوي مُعقد فوق عادي، خاصةً الدماغ، من حيث البُنية والوظيفة الذي لم نبدأ فهمهِ واستيعابِه إلا من عهد قريب. إن هذا شيءٌ أجمل وأروع بكثير من جميع قصص

السحر والخيال الدينية.

وفي نفس الوقت حينما كان ماركس يقوم بثورة في حقل الاقتصاد السياسي، كان تشارلز داروين Charles Darwin يفعل نفس الشيء في حقل علم الأحياء. إن الأمرُ لم يَكُن صدفة حينما أثار عمل داروين عاصفة من السُخط وعدم الاستيعاب أو الفهم، لقد أدرك ماركس وأنجلز على الفور أهمية اكتشاف داروين واعتباره نموذج للديلكتيك (الجَدَل)، بالرغم من أن داروين نفسهُ لم يَكُن مُدركاً لهُ. إن التوضيح لهذا التناقض الظاهر هو أن قوانين الديلكتيك (الجَدَل) هي ليست اختراعاً اعتباطي، بَلْ هي تعكس عمليات موجودة حقيقةً في الطبيعة والمجتمع.

لقد كشف اكتشاف علم الوراثة عن الآلية الحقيقية التي تُحدد تَحوّل نوع واحد إلى نوع آخر. لقد قدمت مجموعة العوامل الوراثية في الإنسان بُعداً جديداً لعمل داروين، حيثُ تُظهر أن الإنسان يشترك في جيناته الوراثية ليس فقط مع ذُبابة الفاكهة البسيطة بَل مع أبسط أشكال الحياة، البكتيريا. سوف يقوم العُلماء في السنوات القليلة القادمة بعملية خلق في المُختَبر، حيث سيخرجون كائن عضوي من مادة غير عضوية. سوف تتم إزاحة أخر موطئ قدم من تحت قدم الإله الخالق، الذي سوف يُصبح عاطلاً عن العمل تماماً.

جَادل العُلماء لفترة طويلة حول فيما إذا كان خلق الانواع الجديدة هو نتيجة لفترة طويلة من تَراكُم تَغيُرات بطيئة أم أنها ظهرت من تغيّرٌ عنيف مُفاجأ. من وجهة النظر الديلكتيكية (الجَدَلية)، ليس هناك تناقض بين الإثنين. إن فترة طويلة من التغيُّرات الجُزيئية (التغيُّرات الكمية) تصل إلى نقطة حَرِجة حيثُ تنتج فجأةً ما يُصطلح عليه الآن القفزة الكمية.

ضَنَ ماركس وأنجلز أن نظرية ارتقاء وتطور الأنواع هي بُرهان واضح على حقيقة أن الطبيعة تعمل في النهاية بطريقة ديلكتيكية (جَدَلية)، بتعبير آخر، من خِلال التطوّر، من خلال التناقُضات. مُنذُ ثلاث عقود مَضت، حُظيت هذه العبارة بدفعة قوية من عند مؤسسة مُتَميزة مثل المتحف البريطاني، حيثُ أن نقاشاً حاداً كسر صمت القرون المُهذَب. وإحدى المُحاجات ضد المُدافعين عن فكرة القَفَزات النوعية في سلسلة الارتقاء والتطور كانت تُمَثّل التسَلُل الماركسي في المتحف البريطاني!

إلا أنهُ رغم ذاته، لم يَكُن لِعلم الأحياء الحديث خياراً إلا أن يُصَحح الفكرة القديمة للإرتقاء والتطور كعملية طولية مُستمرة مُتَدَرجة، ودون تغيُّرات مُفاجئة، ويَعترف بوجود القفزات النوعية، تتميز بالانقراض الجماعي لبعض الأنواع وظهور أنواع جديدة. وفي السابع عشر من شهر نيسان/ابريل 1982 نشرت مَجلة الإكونومست مقالاً عن الذكرى المئوية لداروين حيثُ قالت:

"سوف يكون واضحاً بشكل مُتزايد أن طفرات صغيرة تُؤثر في ما يحدث عند مرحلة أساسية من التطوّر يمكن أن تُحدث تَغَيُّرات ارتقائية تطورية كبيرة (على سبيل المثال، تَغَيُّراً صغيراً في نَسق عمل رابطة أنواع (جينية) مُعَيّنه يُمكن أن يُفضي إلى زيادة ملحوظة في حجم الدماغ). تُفيد أيضاً الأدلة المُتزايدة أن الكثير من روابط الأنواع (الجينات) تَمُرُ بطفرات بطيئة لكن مُنتَظمة. وهكذا، شيئاً فشيئاً يحل العُلماء الجِدال المُستمر حول فيما إذا الأنواع تَتَغيّر ببطء وبصفة مُستمرة على مدى فترات طويلة من الزمن، أم أنها تَبقى لا تَتَغيّر لفترة طويلة من الزمن ثم تمُرُ بتطوّرٌ سريع. من المُحتمل أن كِلا النوعين من التَغَيُّرات يحدُث."

أكدت النسخة القديمة لنظرية الإرتقاء والتطور (التدرُج النوعي) على أن الأنواع لا تتغير إلا تدريجياً، حيثُ أن الطفرات الجينية الفردية تظهر ويتمُ اختيارها. إلا أن هناك نظرية جديدة تقدم بها الباحثان ستيفن جي غولد Stephen Jay Gould و نايلز إلدريج Niles Eldridge تُسمى punctuated equilibrium "الأتزان المُرَقَم" الذي بُناءً عليه يمكن أن يحدث التغَيُّر الجيني من خِلال قَفَزات مُفاجِئة. وبالمُناسَبة، أشار المرحوم ستيفن جي غولد إلى أنهُ لو أن العُلماء انتبهوا إلى ما كَتَبَ أنجلز عن أصل الإنسان، لكانوا قد تفادوا مائة سنة من الأخطاء.

إفلاس أُمَمٌ بكامِلِها

اتسمت أول مرحَلة للأزمة التي بدأت في عام 2008 بتخلف أداء البُنوك الكُبرى لم يُنقذ النظام المصرفي الأمريكي بكامله وبقية العالَم إلا تَدَخُل الدولة بمليارات الدولارات واليوروات. ولكن يجب أن يُطرَح السؤال: ما الذي تبقى من الفكرة القديمة بأن السوق الحُرة، إذا تُركَت وشأنها، سوف تَحل جميع المشاكل؟ إن ما تبقى من الفكرة القديمة هو أن الدولة يجب أن لا تَتَدَخل في أعمال الاقتصاد؟

إن التدخل بمليارات الدولارات من المال العام لن يحل أية مُشكلة. إن الأزمة لم تُحل. إنها مُجرد انتقلت إلى الدولة. إن كُلُ ما حَدَث هو أنهُ في مكان العجز المالي الضخم للمَصارف لدينا هوة ثقبٌ أسود في المالية العامة، خزينة الدولة. ومن سَيُسَدد هذا؟ ليس أولئك المصرفيين المُتأنقين، الذين بعد أن تصدَروا حطام النظام المالي العالَمي، ملئوا جيوبهم بهدوء بأموال الكادحين ويغدقون على أنفُسهم العلاوات السخية مع العوائد.

كَلاّ! إن العُجُوزات المالية التي يشتكي منها الاقتصاديون والسياسيون بشدة يجب أن يُسَدُها أفقر وأضعف فئات المجتمع. وفجأة لا توجد أموال للعجزة أو للمرضى أو للعاطلين، ولكن هناك دائماً الكثير من النقود للمَصرَفيين. وهذا معناه نظام من التقشف الدائم. ولكن هذا يخلق فقط تَناقُضات جديدة. وعن طريق تقليص الطلب، فإن هذا يزيد من إضعاف السوق، وهكذا يُفاقم أزمة فرط الإنتاج.

ويتنبأ الاقتصاديون الآن بإنهيار جديد، حينما تنحدر العُملات والحكومات إلى الأسفل، مُهددين بذلك بُنية النظام المالي العالَمي في حد ذاتُها. وبالرغم من ما يقولهُ السياسيون عن الحاجة لإحتواء العجز، إلا أن الديون بذلك الحجم المذكور لا يمكن تسديدها. وتُقدم اليونان مِثالاً حياً لهذه الحقيقية. والمُستَقبل هو واحدٌ من الأزمات الأعمق، انخفاض مستويات المعيشة، والتكيّف المؤلم وازدياد الفقر بين أغلبية السُكان. وهذه وصفة جاهِزة لمزيد من الانتفاضات الشعبية والنضال الطبقي على مستوى أعلى. إنها الأزمة المنهجية للنظام الرأسمالي على مستوى عالمي.

يسأل بعض السوفسطائين: إذا كانت الاشتراكية أمرٌ حتمي، إذن لماذا على المرء أن يُناضل من أجل تحقيقها؟ في الحقيقة، إنهُ من المُمكن أن تكون عازمٌ مُقتنع ومع ذلك مُلتزم بدور ثوري نَشِط. كان الكلفينيون (المُصلِحون المسيحيون) عازمون من النوع الأكثر تشدُداً وتعصُباً. كانوا يؤمنون بحماس بمذهب القضاء والقدر، بأن إيمان وخلاص كُلُ رجلٌ وإمرأة مُقَرَراً قبل أن يُولدا.

ومع ذلك، إن هذه الحتمية الصَلبة لم تمنع الكلفينيون من القيام بأكثر الأدوار ثورية في النِضال ضد الاقطاع المُتَعَفن وتعبيره الايديولوجي الرئيس، الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وتحديداً لأنهم كانوا مُقتنعون بعدالة وحتمية انتصار قضيتهم، فقد ناضلوا نِضالاً طويلاً بشجاعة لتسريع انتصارها.

إن المجتمع القديم يحتضر على قدمه، ومجتمع جديد يُناضل من أجل أن يُولد. ولكن أولئك الذي حصلوا على ثروات طائِلة منهُ سوف لن يقبلوا أبداً بحتمية فَنائه. فبدلاً من رؤيته يغوص في الضياع، سوف تُفضل الطبقة الحاكمة جر المجتمع بكامله معها إلى الهاوية. إن إطالة مُعاناة احتضار الرأسمالية تُشَكّل تهديداً أبدياً للثقافة والحضارة البشرية. ومُهمَتنا هي أن نُساعد في وِلادة المجتمع الجديد، من أجل ضَمان أن يحدث هذا بأسرع وقت وبأخف ألم مُمكن، وبأقل الخسائر البشرية.

وعلى النَقيض من افتراءات أعداؤنا، فالماركسيون لا يَدعون إلى العُنف، ولكننا واقعيون، ونحنُ نَعرف أن التاريخ بكامله خلال العشَرة آلاف سنة الأخيرة يُثبت أن ما من طبَقة أَو طائفة حاكمة تتخلى قط عن ثروتها وسُلطَتها وامتيازاتها دون مُقاومَة، وهذا عادةً معناه القتال دون الالتزام بأية أعراف أو قوانين. وتلك القضية قائمة إلى يومنا هذا.

إنه احتضار النظام الرأسمالي هو الذي يُهَدد بإطلاق أفضع حوادث العُنف في العالَم. ومن أجل تخفيف إمكانية العُنف، ووضع حداً للحُروب والفوضى، وكي تضمن إنتقالاً سلمياً مُنظماً إلى الإشتراكية، فإن الشرط المُسبق هو يجب حَشد الطبقة العاملة من أجل النِضال وتكون مُستعِدة للنِضال حتى النِهاية.

عبدالحسين عبدالرضا: خارطة طريق

أسعد الله روح الذي راح بجسده وروحه، لكنه أبى إلا أن يمكث معنا بمنجزه الإبداعي والإنساني... ذلك أن منجزات تجربة عبدالحسين عبدالرضا الفنية الثرية، وخصاله الإنسانية، وضعاه على صدر الغلاف الأول وفي الخير الأوسع من سفر ذاكرة شعب الخليج وتاريخه المعاصر.. تلك نتيجة تبلورت من رصد تسلسل وتميز وجدارة وحضور ما أنجز في مدى نصف قرن.. ومن حرارة ما أشعله رحيله من حزن بليغ عارم في أفئدة وعيون ومهج الناس... وهي نتيجة – إن صحت – لا تهمش ولا تستثني اجتهادات وإنجازات من عملوا معه، ومن ما زالوا يعملون بعده في الفنون المسرحية والتلفزيونية... وإنما هي بمثابة إلتفاتة مفصلية تحرض على وجوب إثارة أسئلة متعددة، أبرزها وأهمها السؤال الثابت المتكرر علانية أحياناً، أو المضمر في الخواطر غالباً، وهو:
لماذا عبدالحسين عبدالرضا – من بين جميع المعنيين – الأكثر حضوراً وبروزاً وتألقاً وشهرة، ومدعاة تلهف مستديم عند الناس لمشاهدة وإعادة مشاهدة أعماله؟.. لماذا... ثم لماذا.. ثم لماذا... ثلاثاً!!

أولاً:

عبدالحسين عبدالرضا حين استشعر أن بذرة موهبة فطرية تكمن في ذاته، تعهدها ورعاها وخصب تربتها بمجمل ما وفرته الكويت إجتماعياً وثقافياً وسياسياً من فضاءات الحرية التي نعرفها جميعاً منذ منتصف القرن الماضي والتي أفرزها انفتاحها السياسي على الفكر المغاير للفكر المتحفظ السائد في الإقليم والذي ترجمته الكويت عملياً في استضافتها للعديد من العقول العربية التقدمية للعمل في مجمل إدارات الدولة ومؤسساتها ومن ضمنها وأبرزها مؤسسات الفنون والآداب والثقافة والصحافة، مما خلق آفاقاً إيجابية رحبة لمبدعي الكويت للتمازج والتفاعل معها.

أسس عبدالحسين عبدالرضا علاقة وثيقة مبكرة مع العديد منهم، سواء من مبدعي الوطن أو من المبدعين العرب الوافدين إليه وفي مقدمتهم عميد المسرح العربي المرحوم زكي طليمات الذي استعانت بخبرته الكويت لتنمية وتطوير بواكير اجتهادات مسرحية أهلية أفضت إلى تبني الدولة فكرته الريادية المتمثلة في تأسيس كيان تعليمي وعلمي خاص بفن المسرح.. هو المعهد العالي للفنون المسرحية، الذي ما زال يثري الحركة المسرحية حتى اللحظة..

زكي طليمات ذو البصيرة المتقدة استرعى انتباهه منذ لقائه الأول مع عبدالحسين عبدالرضا، فرادة وأصالة الموهبة الواعدة الكامنة فيه.. فإقترب منها وأسس علاقة وثيقة معها ظلت قائمة متواصلة وراسخة إلى حين وفاته، برغم تباين واختلاف رؤى الطرح المسرحي الموجه للناس،، بين الجدية التراجيدية الصارمة التي انتهجها وكرسها زكي طليمات، والكوميديا السوداء الساخرة التي آمن ببلاغة تأثيرها في كل فئات الناس، عبدالحسين عبدالرضا.. ذلك التباين والاختلاف لم يفسدا للعلاقة الانسانية والود قضية بينهما.. ولقد أثبتت التجربة العملية المتواصلة التي شيدها عبدالحسين عبدالرضا في مدى نصف قرن ما إستشعره زكي طليمات فيه من عمق

عبدالله يوسف

وفرادة الموهبة المتأصلة التي باتت كالنخلة الخصيبة.. تفرخ عدة مواهب وملكات رافدة وداعمة لجذع الموهبة الأصل.. فملكات مثل الغناء بإحترافية ملفتة ونبرة صوت عميق مميز، ومستوى ذكاء عال يعكسه بريق العينين الأخاذ إضافة إلى كاريزما الحضور اللافت وقدرة إقتناص لحظة التعبير الجاذبة وطاقة الخيال المفتوح، وممارسة الرسم والقدرة على قراءة التشكيل ذهنياً وبصرياً، وسلاسة الإرتجال وبلاغة التشبيه وسرعة البديهة اللافتة ومعرفة الذوبان في مواصفات وكيانات الشخصيات التي جسدها.. وكثير غير ذلك مما تضافر وتبلور وتمازج مشكلاً في خلاصته الذهبية، كيان مبدع فائق الحضور والديمومة في خرائط الفنون وفي الذاكرة الجمعية، إسمه وكنيته ولقبه وشهرته: عبدالحسين عبرالرضا...

ثانياً:

إن تعدد المواهب في ذات واحدة يمنحها كنتيجة حتمية باهرة، خاصية الخيال الواسع النطاق والمفتوح على حياة الناس عموماً ولازماً بالضرورة أيضاً لإقتناص الأفكار منها ولإبتكار طرائق صياغة وبلورة الأعمال الفنية البصرية والسمعية وإجتراح أساليب عرضها على الجمهور المتلقي مع الحرص الدائم على اكتنازها وقت عرضها على كل ما من شأنه إستدعاء إنتباه مجمل مكونات الناس في المجتمع، وبالتالي تحقيق ضمان ديمومة بقائها ورسوخها في الذاكرة الجمعية ودوام صلاحية استحضارها كلما جد جديد من أحداث مجتمعية سياسية وإقتصادية تعصف بمكتسبات الناس وتطال حقوقهم في عيش آمن ومطمئن ونابذ لأي شكل من الفساد..

وأعمال عبدالحسين عبدالرضا المسرحية والتلفزيونية، إضافة إليه هو كقيمة إبداعية وإنسانية رؤوفة.. أبلغ دليل ومثال على ذلك.. فكلاهما – هو وفنه – مرجعيتهما للناس وعموم قضاياهم اليومية وهمومهم الحياتية الآنية والمستقبلية،، وهي ما تشكل الوصفة التشخيصية السحرية التي إصطفاها وتمعن ملياً فيها وإعتبر ما يرد ويختمر فيها هو مخزونه الأثير المكنوز جملةً وتفصيلاً بمادة ومفاصل مشروعه الفني الذي نثره في ماء الناس فغمروه الناس بحبهم وبتقديرهم المتمثل بسعيهم الدؤوب إلى الإرتواء من ماء فنه.

ثالثاً وأخيراً:

عبدالحسين عبدالرضا.. خارطة طريق.. لماذا؟

لأن عبدالحسين عبدالرضا آمن مبكراً بأن الفن المسرحي الحي المتمثل في العروض المسرحية مرهون تأثيره وبقاءه ونجاحه أو إخفاقه، بمدى قربه أو ابتعاده عن الناس – مجمل الناس – دون تنويع أو تقسيم إلى فئات من الطوائف والفئات، وأن مادة وموضوعات عروضه تستمد من قضايا وهموم وتطلعات الناس.. فالفن المسرحي في جوهره ومنتهاه هو العرض الحي المباشر الموجه للناس، وما النصوص الورقية والدراسات المطبوعة والتنظيرات إلا وسائل متعددة ومتنوعة يجب استثمارها بوعي وبصيرة لتحقيق عروض تتفاعل معها

الناس – كل الناس – ذلك هو جوهر الفنون عامةً والمسرح الحي المباشر بشكل خاص.

وتلك هي القيم والمفاهيم والقناعات التي عمل في هديها وعلى ضوئها عبدالحسين عبدالرضا ورسخها كمفاصل وعلامات بارزة لامعة في خارطة تجربته الفنية التي ناهزت الخمسين عاماً وظلت متوهجة في ليل إقليم الخليج وفي أفئدة شعوبه وصولاً إلى ليلنا هذا الذي نحتفي فيه بالحديث عن حضوره برغم غيابه الأبدي..

تدعيماً لتلك القراءة.. فإنني أتصور وأرى فيما يرى الراصد. أن تجربة عبدالحسين عبدالرضا الفنية – التي ستظل حاضرة متجددة في بحار الناس – هي بمثابة مقترح متكامل الأركان لأن يتبناه جميع الشباب – والشياب أيضاً – ممن يعملون حالياً ومستقبلاً في الفنون المسرحية والتلفزيونية أيضاً.. كخارطة طريق هندستها تجربة عبدالحسين الفنية المتألقة.. وهي لو تم تأملها ودراستها وتبنيها فعلاً، ستعينهم على ابتكار معاول تفتيت علامات وملامح الغربة والجماد والتصحر الفني الذي بات يسود في الجغرافيا المسرحية الإقليمية، والذي باتت دلائله تبرز وتتعدد وتطال مجمل النتاجات المسرحية والتلفزيونية المعبأة بالتوتر والعبوس والتشاؤم والإفتعال، والتي يتم إنتاجها ببلادة متناهية في إقليم الخليج، على الأخص، منذ عقد زمني لغاية الآن..

وقد يختلف معي فيما طرحت كثرة من المعنيين بذلك.. لكن ذلك الإختلاف لا يلغي ضرورة البوح بأن المعنيين بإنتاج العروض المسرحية بالذات وغيرها من الفنون المرئية في إقليم الخليج، قد إشتكل عليهم الأمر (وضاعت الطاسة من أيديهم) حين تخلوا طواعية عن استلهام قضايا الناس في مجتمعاتهم لدعم وتجذير فنهم المسرحي والتلفزيوني في أفئدة وذاكرة وحفاوة الناس – كل الناس – وإستسلموا أو تمترسوا خلف أوهام التجديد والتجريب والحداثة غالباً.. دون التسلح بوعي فلسفاتها وآفاقها المحرضة على قراءة معطياتها العلمية من أجل تفعيل وتطوير الخطاب الفني في كل أشكاله والفعل المسرحي بالدرجة المأمولة، والتعويل على عروض مسرحية، يستمد المبدع المسرحي موضوعاتها أساساً من بنية المجتمع الخليجي الملبدة بوفرة من قضايا ومشاكل وهموم الناس، وطرحها على الجمهور وفق مفاهيم الكوميديا السوداء الهادفة البالغة الأثر والتأثير والجديرة بإستقطاب الناس..

لذلك فإن الدعوة لقراءة مجمل تجربة المبدع عبدالحسين عبدالرضا وتأملها وسبر أسرار خلودها وسر إلتفاف جميع الناس حولها.. ستفضي فعلاً إلى إكتشاف معالم خارطة طريق تسمو بتجاربهم إلى تخوم الآفاق الرحيبة التي بلغها المبدع الكبير المرحوم عبدالحسين عبدالرضا.. وبلغها انجازه الإبداعي الملفت المتفرد في مناخات المسرح في الخليج..

جديدٌ على اليتم

فاطمة محسن

تأملُ أنَّ السَّماءَ
بغيم عتيق تقايضُ حزنَكَ
أنتَ جديدٌ على اليتمِ
لا لستَ تدري
بأنَّ الفصولَ إذا ما طغت في الخريفِ
تضيِّع أوراقها
حزين بمليون جرحٍ
تطوَّق أسماء محنتكَ البكر خلف السَّديمِ

وترقص
لا شيء يسعدني مثل همٍّ تكدَّس في
الرُّوح . .
نام على شفرةِ الحرف

لا شيءَ يحزنني مثل هذا الدَّمار
تغادرني زمرةَ الأصدقاء
إلى حيثُ قارعة الصمت
أو تشتكي وجعي من هناك

جديد على اليتم
ملء السّحاب ثيابك،
تغزو بنجمةِ حزنِكَ سور الغياب

وتأمل أن تشتري الطُّرقات
وتحفرَ بين الرَّصيف وقلبِك وقع جنون
الخطى

جديدٌ
ولكنّ ما جدَّ فيكَ عتيقٌ
تسربلَ بالرُّوحِ واشتظ في طرقات
الفؤاد

يتيمٌ
ويتمُك يخْنقني
أتهالك بين جدار وصارية،
حيث أغدو هشيما كما الرُّوح
لا طرقاتِ تفيض بماء صباحاتِ قلبي
أوزِّع وردا هناك
فيسقط شوكُ المسافاتِ في خنصر
الوقت
ينسابُ مثل سراب
جديد على اليتم
قم جددِّ البوح وانشر سوادك . .
لملم خيوط الحداد .

جديدٌ
وأشتاق باسمك أن أملأ الأرضَ همساً
هو اليتم ينشر فوق المقابر أحجيةً
تتنزه في قلق للغياب

يتيمٌ
وتتبع أسئلةَ الجهل
إلى أيِّ طائفة أنتمي كي أنام ؟!

جديدٌ
تورِّطنا وحدة الذَّنب
نطرد أحلامنا للزُّحام

يتيمٌ
وأبحث في باحة الخوف
عن جرس
أو بقايا لفافاتِ صبر
أدخن فيها أساك .

البعثُ الثَّاني:

ملاكُ التاريخِ الذي يأتي ولا يأتي (٢-٢)

ترجمة:هشام عقيل

(بقوة هائجة، اقبضْ واسحقْ
البشريّة في الغسقِ تتثاءبُ
أمامنا الهاوية، ستغرقين
وسأتبعكِ مقهقها).
ماركس الشاب، المسرحية الشعرية «أولانيم»

إذا كانت كل الظروف البنيوية تحول دون تحقق هذا البعث الثاني، أو ظهور الأمير الجديد، فإنها الشرط الأساسي لذلك؛ هكذا علينا أن نكون فلاسفة في السياسية، ونفكر ظروف أو شروط، كما فعل أبو بكر الرازي قديماً، تكّون شيء ما من لا شيء؛ كيف يمكن لشيء أن يحدث من الفراغ؛ كيف يمكن للحدث أن يحدث في حدثيته. إذا كنا في حالة فراغية، شبيهة بفراغية ابن خلدون التكرارية، فهذا يعني أن علينا أن نوالف مما تبقى لدينا؛ إن نجمع أكثر قدر ممكن من الحطام العظيم.

تفكير هذه الشروط لا يمكن أن يتم من دون إعادة نظر في مجموعة عظمى من «المفاهيم» الماركسية العلمية وتحليلها وفقاً للبنية الاجتماعية القائمة. فعالمنا اليوم يتميز بميزة لا بد أن تلحق بها ميزة أخرى لا اعتقد تحدث عنها المفكرون الماركسيون: إن الدولة المعاصرة في توسع دائم.. إنها تتوسع في مختلف مجالات الحياة، وبذلك تصبح اجتماعية أكثر فأكثر؛ لم يعد من الممكن أن نتحدث بالمفهوم التبسيطي الماركسي حول الدولة بوصفها أداة للسيطرة الطبقية؛ صحيح أنها أداة في نهاية المطاف، ولكن لا يمكن أبداً اختزالها كذلك عبر اعتبارها أداة يمكن للطبقة المسيطرة التلاعب بها كيفما وحيثما تشاء. على تعبير آلتوسير: إذا كانت الهراوة أداة رجل الشرطي فإن عليها أن تكون مستقلة عنه.. عن يده.

رغم الاستقلال النسبي للدولة إلا أنه لا يمكن اعتبارها فوق الطبقات وفوق كل شيء آخر؛ إنها فوق الطبقات فقط بشرط أن تتدخل حين عليها ذلك، لكنها أبداً ليست متجاوزة للصراع الطبقي بل أنها نتاجه. كما أن الفكرة القائلة بأن الدولة تتوسع في أغلب مناحي الحياة؛ وأنها تغلق كل الفجوات التي يمكن أن يتغلغل فيها دخلاء غير مرغوب فيهم، ليست جديدة وبولانتزاس هو منظرها.

لكني أتصور أنه لم يحاول أن يقدم أحدهم، أو رأى الضرورة في ذلك، تفسيراً لما هي الدولة كذلك من وجهة نظر التناقض السياسي نفسه؛ إذا كان التناقض المسيطر في كل بنية اجتماعية هو التناقض السياسي، وبذلك في حركتيه: الإنجذابية والانتباذية، فإن عصرنا الآن يمتاز بأسلوب سيطرة طبقية لم تشهده البشرية من قبل؛ أسلوب فيه تمكنت الطبقات المسيطرة (وفئاتها المهيمنة) من انتباذ التناقض المسيطر من محوره الأساسي بشكل متطرف، وهذا ما عبر عنه مهدي عامل بـ: مظهر رئيسي يحجب حقيقته السياسية الطبقية، وهذه الحقيقة ليست جديدة، بل الحركة الانتباذية، التي هي هي أثر السياسة نفسها رغم أنها تظهر بمظهر غير سياسي، هي الحركة الضرورية لأي بنية اجتماعية حيث تتراصف فيها المستويات البنيوية بشكل تراكبي.

لكني أشدد على كلمة: متطرف؛ إذا كانت هذه الحركة الشكل الطبيعي لأثر الممارسة السياسية للطبقات المسيطرة في تأبيد السيطرة الطبقية هذه، فإن ما نشهده اليوم هو ما يمكنني أن أطلق عليه، وإن كان اختياري اللغوي هو اختيار متعجل ومؤقت، بـالانتباذ المطلق. في الانتباذ المطلق يتجاوز التناقض المسيطر انزياحه، عبر التحديد المضاعف، من مستواه الأساسي إلى مستواه التبعي أو الآخر؛ يتجاوزه، كفعل للسياسة نفسها، عبر ما يبدو بأنه اجتثاث – السياسة نفسها. كما لو كانت الحقيقة المحجوبة للمظهر الرئيسي يتم خفتها وطمسها إلى حالة من السكون؛ مثلما تبطئ دقات قلب المرء إلى حالة بطيئة جداً لدرجة من يراه يعتقد أنه ميتاً بالفعل؛ جسده الشاحب والبارد وسكونه المطلق لا يوحي بأية حياة.

الانتباذ المطلق هو إذن فعل الصراع الطبقي (بما أن السياسة هي هي الصراع الطبقي) لاجتثاث الصراع الطبقي، لإبعاده بقدر الإمكان عن محوره الانجذابي، عن محوره الأصلي. هكذا يمكن أن نشهد على ذلك في التركيبة

الاجتماعية (الاقتصادية، والسياسية، والايديولوجية) للطبقات المعاصرة وكيف كان تشكيل الطبقة البورجوازية الصغيرة الجديدة، على سبيل المثال، بدءاً من بعد الحرب العالمية الثانية، يعود إلى قمع الطبقة العاملة ولجم حركتها؛ الطبقة البورجوازية الصغيرة الجديدة طبعاً لا تنتمي إلى الطبقة العاملة، كما تصور مهدي عامل خطئاً، بل وجودها يرجع إلى حركة نمط الانتاج الرأسمالي في إعادة الانتاج بشكل موسع؛ حيث فيها نجد النزعة نحو غلبة رأس المال الميت على الحي في التركيب العضوي لرأس المال، وبذلك النزوع نحو هبوط معدل الربح، وبذلك توظيف رؤوس الاموال في قطاعات غير منتجة.

لهذه العملية جانبها الاقتصادي، والسياسي، والأيديولوجي.. أو قل: إنها تتحدد بشكل مضاعف عبر هذه الجوانب. لم يؤدِ ذلك إلى ضعف الطبقة العاملة وتضاؤلها المستمر وحسب، بل أدى أيضاً إلى ضعف الصراع الطبقي بشكل عام؛ ضعف الصراع الطبقي هو بنفسه أثر للصراع الطبقي. هكذا أدت الممارسة السياسية للبورجوازية إلى وضع طبقة ضخمة جداً غير منتجة، ومحايدة، في الأبنية الاجتماعية الرأسمالية لتوسع الهوة ما بين التناقض الرئيسي بين: الطبقة العاملة والبورجوازية. وبما أن وجود الطبقات بحد ذاته هو هو صراع طبقي فإن وجودها نفسه قد أضعف؛ وبذلك أضعفت الطبقة الثورية بحد ذاتها. إذا كان الصراع الطبقي هو محرك التاريخ، فإن التاريخ الآن في حركة دائرية بطيئة جداً؛ وهذا هو غاية الممارسة السياسية للطبقات المسيطرة.

هذا لا يعني إطلاقاً أن الطبقات (وصراعها – حيث للصراع الطبقي أولية على كل شيء آخر) قد اختفت، بل أن هذا الانتباذ المطلق هو فعل الصراع الطبقي نفسه، أيّ مظهر يجتث السياسة عبر السياسة نفسها. الفكرة هي أن عالمنا اليوم موصد من كل جانب، مجتث ومنزوع من السياسة كلياً.. عبر السياسة نفسها. الدولة، بطبيعتها الآنية، متوسعة في كل مجالات الحياة.. مغلقة كل الأبواب بشكل محكم، رغم أن هناك فجوات يمكن الدخول منها؛ حيث لا تتمكن أبداً من الإحكام على كل الفجوات الموجودة؛ ففي الهوامش نفسها توجد هذه الفجوات.

الآن نحن في هذا الفراغ المطلق؛ وتقع المسؤولية على الحزب الشيوعي، الأمير الجديد، المهمة الفلسفية في أن يتدخل سياسياً، والمهمة السياسية في أن يتدخل فلسفياً؛ كما تصور لينين في فراغه وعزلته في سويسرا، عامين قبل الثورة، قارئاً ودارساً كتباً فلسفية بحتة لهيغل، وكانط، وفويرباخ.

على هذا الأمير الجديد أن يبعث ثانية؛ عليه أن يعطي كل المشاركين (الهوامش/العموم) محتواهم السياسي؛ لا يلقنهم،لا يدرسهم، ولا يعاملهم بشكل استعلائي.. باحترام وجودهم وكينونتهم وهويتهم الخاصة؛ يضيء لهم الطريق ويرشدهم مثل رؤى القيامة العظمى للقديس بولس: الراعي الذي يُحول الخراف السود إلى خراف بيض، عبر لمسهم واحداً تلو الآخر، نحو الخلاص. هكذا النداء هو: زماننا هو زمان الفلسفة؛ زمان الصراع الطبقي في الفلسفة؛ بل زمان أن نكون فلاسفة في السياسة، وسياسيين في الفلسفة؛ عبر الفلسفة نصل إلى البعث الثاني.. صدى هذا النداء لا بد أن يصل إلى مبغاه، وكل وجهات وصوله هي هي مبغاه؛ إن كانت الأحزاب الشيوعية المنتهية صلاحيتها وإن كان الشيوعيون القابعون فيها يريدون الخلاص والاستمرار في الحياة؛ أن ينهضوا من موتهم. أعني؛ عليهم أن يستجيبوا للمهمة القدرية التي وضعتها لهم عجلة الحظ؛ عليهم، عليهم، ذلك وإلا سيكونوا، بل أنهم كذلك، كما قال آلتوسير يوماً: الأحياء الموتى.

لينزل ملاك التاريخ علينا، لينزل من السماوات ويتلو علينا الكلمات التنبؤية التي سمعها فالتر بينيامين:

(هناك لوحة لبول كلي اسمها «الملاك الجديد»؛ تصورُ هذه اللوحة ملاكاً يبدو أنه يبعد نفسه عما يحدق فيه بشكل مطول. عينا الملاك مفتوحتان بإتساع، فمه مفتوح تماماً، وجناحاه منفردتان. لا شك أن ملاك التاريخ يبدو هكذا بالضبط؛ دائم التحديق نحو الماضي. وبينما نحن نلاحظ سلسلة الحوادث، هو لا يرى سوى كارثة واحدة مكدساً بشكل متزايد كوم البقايا على بعضها البعض فوق رجليه. وقد يقف للحظة بتأنٍ، ليبعث الموتى ويجمع ما هُدم فعلاً. لكن تنفخ الجنة عاصفة عظمى لا يجد الملاك نفسه إلا وسطها عاجزاً عن ضم جناحيه ببعضهما البعض بسبب قوتها الشديدة. تدفعه العاصفة قهراً إلى المستقبل، الذي هو وراء ظهره، بينما تتطاير كوم البقايا في السماء أمام عينيه. ما نسميه بالتقدم هو هو هذه العاصفة.) – (فالتر بينيامين، حول مفهوم التاريخ، 1940).

قارئ حسن مدن، الخلود بطريقة أفقية

مثل حسن مدن، مثل القارئ الذي هو عليه، على قارئ (للأشياء أوانها) أن يكون شغوفاً ومتسائلاً، باحثاً ومكتشفاً، ومتفلتاً ومتلفتاً، عليه أن يختبر الدهشة الطفلة، والحكمة العجوز، وأن لا يكفّ عن طرح الإشكالات، والاعتراض عليها، وربطها ببعضها، وتفكيك مغاليقها، تلك هي القراءة التي يضعنا فيها الدكتور مدن لدى تلقينا هذا الكتاب الصادر مؤخراً عن مسعى للنشر، كاختبار حقيقي للقراءة باعتبارها فعلاً إيجابياً يضيف للمكتوب ويمنحه قيماً أخرى.

مهدي سلمان

ما إن تدخل معه في هذه اللعبة، ما إن تقرأ كما يقرأ، أو تحاول، فإنك ستكتشف طريقة أخرى للعيش، العيش داخل النص/ داخل العالم، تضع أفكارك في مقابل ما تقرأ، وتضع ما تقرأ في مقابل ما تعيش، وتضع ما تعيش في مقابل ما تشاهد أو تسمع، إنه يشابك العلاقات بين الأشياء ليصل إلى جواهرها، ليفتتها بعد ذلك ثم يعيد تشكيلها. لهذا فإن مثل هذه القراءة تتطلب وقتاً حقاً، لأن قارئاً مثل هذا يضطر كل حين للعودة إلى الأشياء والأفكار، الروايات والأحداث، الأفلام والمسرحيات، الكتب والنظريات، الشخصيات وسلوكها وأمراضها واضطراباتها، انحناءات الرؤى الفلسفية وتمثلاتها، والظواهر السياسية وشواهدها، العلوم التطبيقية بقوانينها، والفنون بتجريدها، كل ذلك ليناقش فكرةً طائشةً هنا، أو شعوراً متخفياً هناك.

هل نحن قادرون على مثل هذي القراءة؟ يوحي لنا مدن أن الأمر سهل، يجعلنا نشعر بهذه السهولة في كتابته، تقرأ بيسر معتقداً أنه سيحدث بشكل عفوي، وتصطدم بفكرة هنا أو رواية هناك، شخصية أو فيلم أو حكاية، قصاصة خبر في جريدة أو تحليل موزون في مجلة، لكن قراءة على هذا القدر من الاشتباك يلزمها مثابرة واجتهاد، يلزمها الشغف الذي نتحدث عنه، ليس الشغف بقراءة محددة، ليس الشغف بالشيء بالأشياء كلها، ليس الشغف بالنوع بل بالأنواع والأفكار والأشكال والأجناس جميعها، ذلك الشغف الذي يتملك من يكتشف القراءة للمرة الأولى، فيقرأ كل ما تصادفه عيناه، اللافتات والجرائد، المجلات والقصص المصورة، الكتب بجميع أنواعها، الكاتلوجات وعبارات المكونات والتحذير على العلب. هل يمكن إعادتنا إلى هذا الشغف الأول؟ أظن أن المثابرة على ترك الدهشة تأخذنا أبعد من ثقتنا بمعارفنا هي وحدها القادرة على جعلنا نتقن شيئاً من مثل هذي القراءة.

وبالرغم من خطورة هذي القراءة –خصوصاً في عصر المعرفة العنكبوتية– المتمثلة في الخشية من أن تبتسر المعرفة، وتحدد في رؤوس أفكار وعناوين، لكن علينا أن نعرف كذلك أنها قراءة واعية، لأنها كما هي قادرة على التفكيك فإنها قادرة على الربط أيضاً، الربط بين الأفكار والأشياء والمفاهيم والنصوص، بل ربما تكون هي القراء القادرة على مواجهة القراءات التخصصية التي تسود وقتنا الراهن، والتي أفقدتنا قدرتنا على الربط بين عناصر العالم وأشيائه.

إذن، ذلك هو ما تعطينا إياه قراءة حسن مدن، الرؤية البانورامية للعالم، فتح آفاقنا على سعة الكون وسعة ذواتنا، إطلاقنا في براري المعارف دون خشية الضياع. وفي هذا الكتاب بالذات حيث يتناول مدن تلك الأشياء والعادات والأمور والأفكار العادية، أو التي نتصور عاديتها، ليربطها بأبعد المعارف وأشدّ المناطق غوراً في أنفسنا، وفي الإنسان بشكل عام، في قسمي الكتاب (الأهواء) و(الحواس) لا يمكنك كقارئ التيقن من التقسيم نفسه، فما هو هوى يأخذه الكاتب باتجاه أن يكون حسياً، وما هو حسيّ يجرده حتى يوصله إلى درجة (الهواء والهوى)، في مقالته (إطلاق سراح الكراكيب) مثلاً، يدخل بنا المقال من باب الحكاية ثم يأخذنا إلى السؤال حول علاقة الأشياء باعتبارها ذكريات بمشاعرنا، ثم يعبر بنا إلى فكرة الذاكرة نفسها، وما تشاء الاحتفاظ به وما لا تشاء، ويعود بنا إلى عالم الكراكيب من باب الكتب في كتاب (كيف تتخلص من الكراكيب على طريقة الفينج شوي الصينية) وهكذا ينقلنا من المحسوس نحو المجرّد والمفاهيمي والشعوري، ثم يمنحنا بعد ذلك معارف جديدة قد نتوق إلى اكتشافها بشكل أكبر، وهكذا في كل مقال، يدور مدن بنا في عوالم مختلفة وأسئلة قلما لفتتنا، حول كل ما حولنا وغالباً لا يثير انتباهنا، ولهذا فيمكنني افتراض أن قراءة مدن تمنحنا طريقة أخرى للعيش، لعيش الحياة، ربما هي ليست طريقة جديدة، فمن منا لم يختبرها في طفولته، تلك الطريقة المتسائلة والمندهشة والراغبة في المعرفة، والتي فقدناها شيئاً فشيئاً.

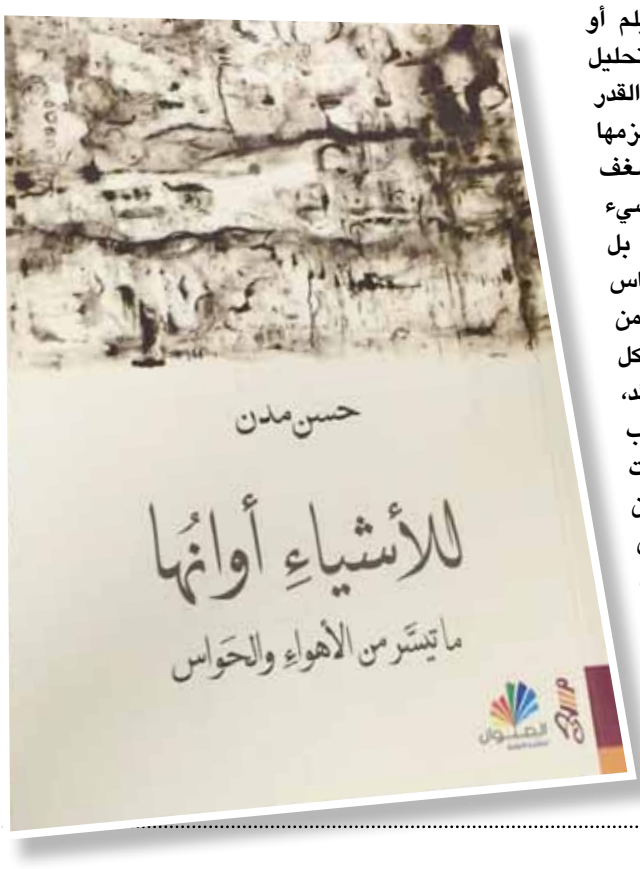

وعندما تبدأ في العيش كما يكتب مدن، عندما تدع الأشياء تثيرك وتحيرك، ولا تتوقف عند هذي الدهشة والحيرة بل تتخطاها نحو المعرفة والاكتشاف، سترى كيف أن عمرك هذا يتحول إلى العشرات والعشرات من الأعمار، أنت المرء الخالد ولكن ليس بصورة الخلود العمودية بل ذلك الخلود الأفقي حيث يجعلك ذهنك تتمثل أجزاء من حيوات سواك، تلك الحيوات التي تقرأ عنها، أو التي تختبر تجاربها في كتابتها، أو في إبداعاتها، بل ربما تتجرد لتكون أنت مفهوماً قديماً ملتبساً في الزمن، تشهد تقلباته في العصور، خموده وانبعاثه، هكذا أظن أن الدكتور حسن مدن يعيش، هكذا أعتقد أني أود أن أعيش، حياة واحدة مستمرة، ولكنها لا تتكرر كما في فيلم (يوم غراوندهوج) للممثل بيل موراي، لكنها تتنوع بتنوع الحياة نفسها، وأنا وحدي أختار منها ما أود من أجزاء، وأقتطع منها ما أريد من أحداث.

بين بروست ومنيف:

البحث عن زمنٍ مفقود

سوسن حسن

بين الزمن والذاكرة والحب عناصر تشابه كثيرة أهمها الوعي ، فكل من هؤلاء مهدور دون إدراك، بيد أننا لم نستطع فهم رواية القرن العشرين الا بعد أن قرأنا بتمعن «البحث عن الزمن المفقود» لمارسل بروست. تحكي الرواية ماضي السارد وذكرياته بدقة أكثر واقعية من الأحداث نفسها لمساعدة بروست في إيجاد وعيه تجاه الزمن و تضم سبعة أجزاء: جانب منزل سوان، في ظلال ربيع الفتيات، سودوم وعموره، جانب منزل غرامنت، السجينة، الشاردة، والزمن المستعاد.

لم يحالف بروست الحظ في إكمال هذه التحفة الأدبية، فقد توفي قبل إتمام البحث. والحقيقة أن بروست لم يكن ليكمل الرواية أبداً، طالما أنها تتناول ظاهرة الزمن وهذا الأخير لا ينتهي دون إشعار من صاحبه. تشكل الرواية قراءة حصيفة للزمن في سبيل الوصول الى الوعي عن طريق الذاكرة اللاإرادية ، فالكتابة لدى بروست كانت تتدفق من دون تخطيط. في الصفحات الأخيرة من الزمن المستعاد، يكتشف الراوي في ذاته مواهب فنية، وهو اكتشاف سيقوده الى كتابة هذه الرواية التي يكون القارئ قد انتهى لتوه من قراءتها.

ولوج الراوي– البطل في عوالم الذات كان يمر عبر الكثير من العناصر الخارجية التي سرعان ما تصبح جزءاً من داخليته مثل سيكولوجية العلاقات العائلية، العلاقات الجنسية، العلاقات مع الفن لاسيما الموسيقى و الرسم. ويصح القول بأن الرواية لم تكن ميدان صراع مع الزمن فقط، بل مع البحث اليائس عن الحب كذلك وسط خواء العلاقات الاجتماعية، حيث يتناول بروست بإسهاب مغامرات سوان العاطفية قبل خمسة عشر عاماً من ولادة الراوي ليتوقف عند أوديت، وهي فتاة عادية، ذات مغامرات جنسية عدة، لا تنتمي الى عالم سوان البتة الذي كان يضج بالثقافة والفن و الموسيقى.

لم تكن أوديت لتوقد المشاعر في عاطفته لولا ربطها بمقطوعة #انتوي الموسيقية التي سمعها سوان وهي في صحبته، ليبحر عميقاً في بحر الذكريات موقظاً في روحه لذة أقرب الى الاشتهاء، واستذكاراً لشعور السعادة الذي دبَّ فيه عندما سمع المقطوعة لأول مرة في وقت سابق. تصالبت أنظار أوديت مع سوان حينها ليعبر هذا الأخير إلى عازف البيانو عن بالغ شكره ويقع في حب المرأة التي أحضرته. لم تكن ظاهرة الوعي حاضرة بتاتاً لدى سوان، فقد كان في حالة سكر تجاه الزمن أشبه بتلك التي يتحدث عنها بودلير في أحد بيوته الشعرية : « يجب أن تسكروا على الدوام، الكل هناك، إنها المسألة الوحيدة لأجل ألا تحسوا ثقل الزمن الفظيع الذي يكسر أكتافكم ويحنيكم في اتجاه الأرض. عليكم أن تسكروا بلا مهادنة.»

لم يكن ما يشعره سوان حباً بل تملكاً، فقد كان يرى في أوديت تجلي لمعاني الجمال في الموسيقى واللوحات الفنية، فلطالما كان ينشدها أن تغازله حينما كانت المقطوعة تعزف، ولطالما قارنها بجدارية صفوريا، ابنة النبي شعيب الكائنة بكنيسة سيستينا.

أحدثت هذه الجزئية من الزمن المفقود مشكلة في نسق الرواية التي لم يكن الراوي حاضراً فيها، إلا أنها ملكت من الرمزية في علاقة الوعي بالزمن والحب ما ساعد بروست في إدراك تراجيدية العلاقات حينما نتصور إمكانية امتلاك الجمال عن طريق الحب كاستملاك المادة، حتى نصل إلى مرحلة الوعي لنعي الزمن الذي أضعناه، وهذا ما فعله سوان حينما أدرك وقوعه في فخ الزمن الضائع، عندما فنى وقته و روحه و جسده في اللحاق وراء امرأة لم يحبها قط.

قدم عبدالرحمن منيف في 1975 «قصة حب مجوسية» ليرينا من الحب الأفلاطوني ما يتنافى مع سيكولوجية العلاقات الجنسية لدى بروست، حيث تتناول هذه الرواية القصيرة مفهوم الحب من نظرة جبران:

« المحبة لا تعطي إلا نفسها، ولا تأخذ الا من نفسها.

المحبة لا تملك شيئاً. و لا تريد أن يملكها أحد.

لأن المحبة مكتفية بالمحبة.»

يقع مغترب في فرنسا، الذي لا يذكر اسمه بتاتاً في الرواية في حب امرأة متزوجة، صادفها في رحلة وعاش معها أجمل علاقة حب بكل لغتها الشعرية في عقله فقط. عندما كان بروست يُشيِيء أوديت، آثر منيف أن يؤنسن الأشياء من حوله بروح العاطفة، ويصور من خلال حبه لليليان المتزوجة اغترابه عن العالم فكرياً حينما يبحث الرجل المدرك للزمن عن الحب، فيجده ولكن لا يتاح له. يدخل منيف في حسابات كثيرة متعلقة بالزمن والحاجة التي تعاني منها النفس البشرية، حينما يصور لنا هذا الحب المستحيل كسواد حزين رابض في الأعماق مثل بئر لا قاع لها، ويشبه الحب في ذات الوقت بالعذوبة والعذاب «لأنه لقاء الرغبة و الإرادة، وتحول اثنين الى اكتمال متسق و قوة لا تخاف و لا تتردد» ، ثم يعود ليقول بأن : « القيود الاجتماعية، وتعدد اللغات والأوطان تجعل هذا الحب مهدداً دائماً، و في أحيان كثيرة مستحيلاً، ما لم تأتِ النار المقدسة وتذيب القيود والمسافات، وتعيد صياغة العلاقات ضمن أنساق تجعل الحياة أكثر جمالاً و أكثر اكتمالاً ...» .

يشكل «البحث عن الزمن الضائع» و «قصة حب مجوسية» مثالان مهمان للرواية السيكولوجية التي من السهل مواصلة كتابتها دون نهاية لارتباطها بالزمن المستمر. لا يمكن تلخيص «قصة حب مجوسية» لأنها تكاد تكون مرآة حياة الرواي والقارئ معا لهزائمهما و انتصاراتهما. لا يعتبر حب ليليان طاقة مهدرة ووقت ضائع كعلاقة سوان بأوديت، وإنما أمل ووعي استفزازي ومرهف إلى الحدود القصوى للتغلب على الضياع واليأس جاعلاً من الزمن أساس الوعي ومن الوعي أساس الزمن.

يختم منيف روايته بهذه الحروف: «لا أملك شيئاً، ما زالت ليليان شامخة، راكضة في ذاكرتي، تتسلق دمي في كل لحظة، تبكيني، تفرحني، لا، يا أيها الناس، انها تنتظرني، انها تنتظرني في المحطة القادمة، لا أعرف محطة الترام، الباص، ولكنها تنتظر، في مكان ما تنتظر، سألتقي بها، ولا تسخروا، بالتأكيد سألتقي بها ! « .

سيلتقي البطل بحبيبته ما دامت الذاكرة وعياً ذا حلم وتخيل، ترمم نفسها من خلال الكلمات والأحاسيس، لا من خلال الأشياء.

الشرق مدرسة الحياة

في الوقت الذي أصدر فيه إدوارد سعيد كتابه:الاستشراق، دار في الغرب سجال كبير حول صحة فرضية ما اذا ظهر الاستشراق كعلم حديث لمؤاخاة الرؤى، أو لوضع الشرق في إطار نمطي خدمة للمشاريع الأوروبية الاستعمارية فقط ؟

ايبوليت دواين *

ارتأى ادوار سعيد من خلال الاستشراق تسليط الضوء على رؤيته النقدية للإصدارات الاستشراقية في أوروبا الأدبية منها والعلمية. رسخ إبان كتابته فرضية راديكالية بتحليل الكتابات الأدبية لنرفال والمستشرق الشهير دي ساسي الذي لقبه عبدالرحمن بدوي بشيخ المستشرقين الفرنسيين وارنست رينان، الذي اشتهر بترجمته ليسوع وتمت معاداته من قبل الكنيسة الكاثولوكية. خلص سعيد في تحليلاته بفرضية تدعم انكباب الغرب في فهم الشرق ودراسته رغبة في استعماره واحكام السيطرة عليه في المرتبة الأولى قبل كل شيء.

لن نرجع في مقالنا هذا إلى مشاهد السجالات التي دارت حول كتاب إدوارد سعيد كي نفهم فحوى العلاقة التي أنشأها الغرب مع الشرق، وإنما نرتجي التركيز على الإشكالية الأهم التي تناولها كاتبنا الفلسطيني، ألا و هي: طريقة النظر إلى الآخر، كيف يتم النظر الى الشرقي وسبر أسراره ؟ كيف ولج هذا الغريب في عالمنا الغربي وأحدث تغييرات على علومنا وطريقة رؤيتنا للكون ؟ كيف يرانا هذا الغريب ؟ كيف يجذبنا اليه ؟ وما هو نوع الأحاديث التي نستطيع تناولها معه؟ كان الغرب في القرن التاسع عشر يضج بالأزمات، إذ صنعت الثورة الفرنسية جمرة تتأجج ، أسفرت عن فطر قلبها أشطاراً. عقدت أوروبا وعداً على نفسها بضرورة إعادة الإعمار بعد أن تم تدنيس سمعتها، ومقارنتها في قصيدة بودلير الشهيرة بالخفاش الذي يصدم رأسه في جميع الأسقف القذرة.

ظهر الاستشراق في القرن التاسع عشر كعلم متظاهٍ بالاستقلال عن أجندات أوروبا السياسية، فما لبث إلا أن تولى قيادة المركب الأوروبي باتجاه الشرق. أصبح من المهم معرفة الشرق جيداً، فكره، دياناته، طوائفه، شعوبه، عاداتها و تقاليدها من أجل أن تتربع أوروبا، و بالأخص فرنسا وبريطانيا عرش الرئاسة على العالم العربي.

ماذا تعني هذه الخطوات ؟ فسرّ الفيلسوف الفرنسي المعروف، إيمانويل ليفيناس في كتابه الشمولية والمحدودية هذا التوغل في علم الاستشراق بالأنانية في الدوافع؛ دراسة الآخر تعني محوه وطمس كل ما يحيط به من دين وتاريخ و ثقافة. عندما نعرف كل شيء عنه، يصبح بإمكاننا استئصال لسانه وابعاده، فنتحدث بالنيابة عنه في كل شيء يعنيه كما نريد. دراسة الشرقي تعني السيطرة عليه وحبسه في عوازل منطقنا وأفكارنا. هنا يقع التناقض في علم الاستشراق: بإعطاء صورة مصنوعة ومفبركة للشرقي، لا نترك له المجال في الكشف عن وجهه الحقيقي.

هذا ما فعله الفيلسوف والمؤرخ ارنست رينان عندما كتب عن ابن رشد وآتته الجسارة لنفي علم الفلسفة عن العرب بعد اندثار الأندلس. الفيلسوف العربي بالنسبة لرينان يختصر في مشيه على خطى أرسطو وأفلاطون، وترجمة أعمالهم، إن وجدت الفلسفة في العالم العربي، فالفضل يعود للإغريق فقط. حصر رينان بذلك دور الفلاسفة العرب في الترجمة و نقل الفلسفة الإغريقية الى الغرب فقط رافضاً كل دور للعرب له علاقة بالفلسفة المستقلة عن الإغريق والابتكار المانح للخلود.

هل كل الفلاسفة الغربيين مثل رينان؟ هل جميعهم يريدون دراسة الشرق من أجل الاستيلاء عليه ؟ كلا! لا نتفق مع نظرية إدوارد سعيد بشكل كلي لأن نسبة كبيرة من الفلاسفة الغربيين سمحوا للشرقي باختراقهم من خلال أفكاره والتأثير عليهم. رسم هؤلاء الفلاسفة صورة مغايرة تماماً عن الشرق بولع مهووس، حيث لم يضعوا الشرقي في إطار المراقب، الناقل للمعرفة وإنما منشئها لغرب لم يستطع الخروج من أزماته الفكرية. قرر هؤلاء الفلاسفة أن يحلوا ضيوفاً على الشرقيين ويضعوا أنفسهم مكانهم لسبر شفافيتهم وكرمهم من أجل إعادة الحياة الى أرواحهم التواقة الى معرفة الآخر وإقامة علاقة صداقة معه.

هذا ما فعله على سبيل المثال لويس ماسينيون، فنحن نقدر نيته الصادقة تجاه الشرق في كل كتاباته، عكس ما قاله إدوارد سعيد عنه، حينما وصفه بالمستشرق المتصلب على غرار رينان، وهذا ما نجزم به كذلك عندما نقرأ بذهن حصيف رحلة قائد المئة لإرنست بسيشاري، حفيد ارنست رينان، حيث حلل لنا هذا الأخير بذوق رفيع العلاقة الصادقة التي أنشأها هو مع الآخر الشرقي في رحلته كضابط لدى الجيش الفرنسي إبان احتلاله لموريتانيا. يروي لنا بسيشاري روايته بطريقة رومانطيقية، سارداً رغبة الغربي في الهرب من حياة بائسة في فرنسا، مختلجة بالغم وانعدام المعنى، ليحلق في عنان السماء عندما يجد الآخر الشرقي، فيعثر على نفسه في الوقت ذاته. يتحول بذلك الشرق الى مدرسة حياة والآخر الشرقي الى مرشد روحي نحو الحقيقة: «تذوق أيها المنفي سعادة أن تكون على حق، العالم الغربي لم يعد موجودا، الأكاذيب، الخطب عديمة الجدوى والمغالطات لم يعد لها مكان. ها أنت وحيداً في كنف الليل الناعم، غداً ستصبح في أحضان الصباح المتواضع، تواجه الأرض كرجل بدائي على كوكب بدائي، كرجل حر في الفراغ لأنك تحررت من كل ما صنع البشر من مناهضة ضد الخالق. لم تعد ترى شيئا في هذا المدى البعيد غير لوحة بدع الرب» .

واحة الفكر

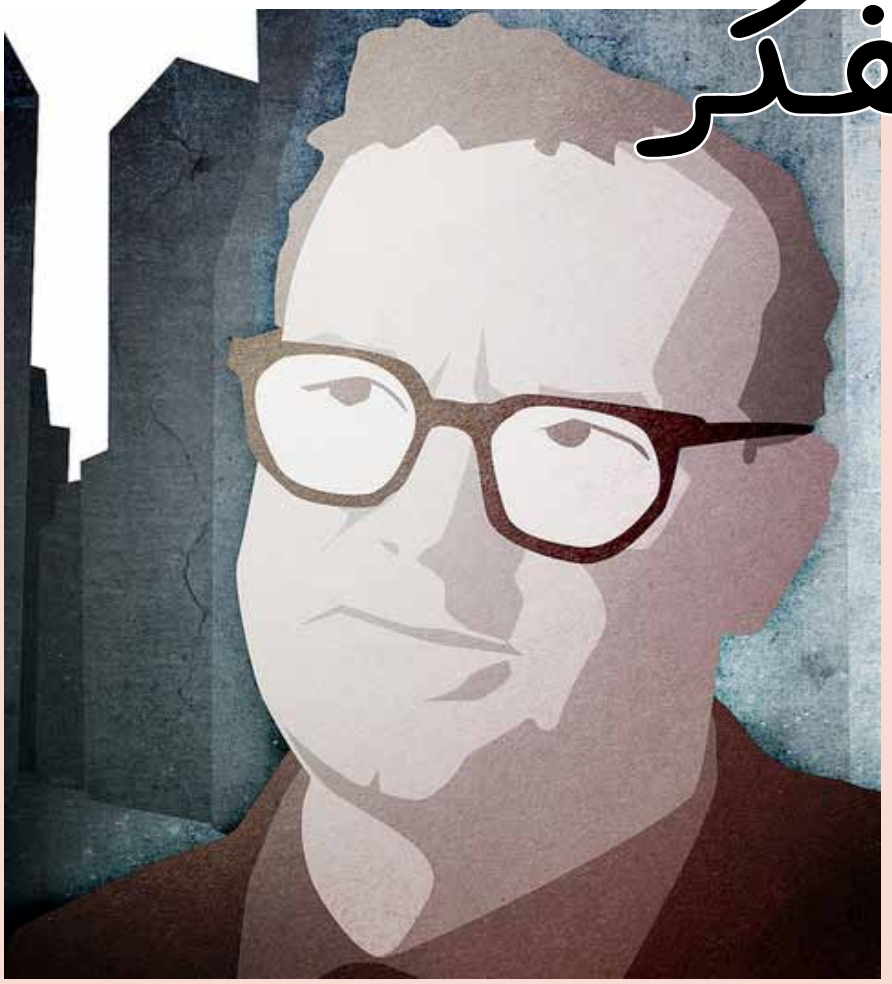

بورتريه تشارلز رايت ميلز

ترجمة : هشام عقيل

مقتطف من رسائل إلى رفيق روسي

تشارلز رايت ميلز

من أكون؟ ولماذا تكونت بهذه الطريقة؟■

أيها الرفيق، حتماً تدرك أن مراسلتي لك إنما هي مراسلتي لنفسي أيضاً. لا يمكننا أن نقوم بالكثير إزاء هذا الأمر حيث تفصلنا المسافات عن بعضنا البعض، ولأننا أساساً نجهل الكثير عن أحدنا الآخر. لهذا السبب سأجعل هذه الرسالة شخصية جداً، وسأحاول أن أكتب لك شيئاً عن نفسي وعن الأسباب التي جعلتني كما أنا عليه اليوم. فكرتُ عصر أمس كثيراً حول كيفية كتابتي كل هذا إليك، وقلت لنفسي: كيف يمكنني أن أخبره عن نفسي بينما، في الوقت ذاته، لا أعرف شيئاً عما أكون؟! أما حول الماضي فإنني، ككل الناس، لي أكثر من ماض، وأجدها كلها مفيدة، ومريحة، ومقنعة بشكل متساوٍ.

كنت أتمنى ألا أنضج أبداً. فأنا أعتبر فكرة النضُوج فكرة مضرة؛ أنا ضدها تماماً. النضوج يعني فقدانك للفضول الفكري الذي يمتلكه أغلب الأطفال والذي يفقده البالغون .. أن تكبر في السن يعني فقدانك الارتباطات والتعلقات القوية والرفض العام للآخرين الموجود، على ما يبدو، عند الكثير من المراهقين والبالغين. ليس لصيغة: «النضوج..» أي معنى، ما لم يتم إضفاء إليها سياق اجتماعي.

دعني أختصر لك الأمر: أنا ابن رجل كثير السفر بحكم انتماءه للطبقة الوسطى. لقد تَرعرعت بكنف أم تتصرف مثل كارول كينيكوت، وكنت أُعتبر أنثوياً حتىً سنتي الأولى في الجامعة، حيث أرسلوني إلى الجيش كي يصنعوا مني «رجلاً». لم ينجح هذا الأمر.. بلى نجحوا في ذلك.. كل ذلك كان خطأ .. بل كان شيئاً ممتازاً: لأنني تمردت! وبسبب أساتذة معينيين، أخذ تمردي هذا طابعاً فكرياً. وبسبب العزلة التي أنا فيها، صرت – بشكل روحي – عمالياً (Wobbly).

لطالما كان لدي نوع من عدم القابلية على التعاطف مع الأغنياء، مع عدم ثقة طبيعية بهم جميعاً. وفي ذات الوقت، لم أجد نفسي مضطراً أن أُعجب دوماً بالطبقات الفقيرة، ولا مناصريها، كإلتزام فكري أو أخلاقي. أما بالنسبة إلى الطبقة الوسطى، فدعنا نكون صادقين: لا يوجد شاب أمريكي من الطبقة الوسطى وصل إلى مستوى معين من الوعي–الذاتي بحيث يمكننا تسميته مثقفاً، دون أن يكون قد أمضى نصف حياته – وقد تكون أحياناً أفضل أوقات حياته– محاولاً أن يستقل ويهرب ويتمرد على الأفكار المسبقة والطموحات التي أجبر عليها قبل أن يكون شخصاً مستقلاً.

هذا يعني أنني وحيد ومعزول من النواحي: السياسية، والفكرية، والأخلاقية. لم أعرف أي احساس أخوي مع أية جماعة من الجماعات الموجودة سواءا أكانت سياسية أو أكاديمية، مهما كانت صغيرة الحجم. طبعاً وجدت شعور الإخاء مع بعض الافراد، ولكنني لم أجد ذلك أبداً مع أية مجموعة أو تنظيم مهما صغر حجمه. لقد جرب المحاربون الراديكاليون الأمريكيون القدامى هذا الشعور، وأيضاً جربه الشيوعيون في أوروبا وأمريكا. وأيضاً كان لدى شباب نيويورك في عصبة الشباب الشعبية الاشتراكية، ولا يزالون يطالبون به. مدهش هذا الأمر: يحنون لشيء كانوا يمتلكونه. ولكنني لم أجده أبداً؛ لم أنضم لأية مجموعة على الاطلاق. وإذا أردت أن أكون صادقاً، أنا لا أحتاجه على الإطلاق.

سألتني: «من تكون أنت؟»، والآن أجيبك بالتالي: «أنا عمالي». أعني ذلك سياسياً وروحياً. وإنني، عبر قول ذلك، لا أعني توجهاً سياسياً معيناً بل روحاً سياسية، وبكلمة عمالي أعني شيئاً واحداً وحسب: ما هو عكس البيروقراطي.

أنا عمالي بشكل شخصي ووجداني، وسأبقى كذلك إلى الأبد. أنا لست في بطن الحوت؛ أصبحت هكذا عبر العزلة الاجتماعية والتعلم–الذاتي. ولكن أتدري ما يعني أن تكون عمالياً؟ إنها حالة روحية. لا تخف من هذه الكلمة يا رفيق. ليس العمالي من ينصاع لأوامر نفسه وحسب؛ بل أنه شخص غالباً ما يكون في حالة ليست فيها أية قوانين، التي لم يبتكرها لنفسه، ليستند عليها. إنه شخص يكره الرؤساء والزعماء – سواء أكانوا شيوعيين أو رأسماليين – جميعهم من نفس الطينة بالنسبة له. إنه شخص يريد أن يكون – ويريد الآخرين أن يكونوا كذلك أيضاً – مرؤوس نفسه في جميع الأوقات وفي كل الحالات ولكل الأهداف التي يجري وراءها. هذه الحالة الروحية – هذه فقط – هي الحرية العمالية.

((هل أناقض نفسي؟ لا مشكلة إذن! أنا أناقض نفسي! فأنا عظيم، أنا متعدد))

– والت ويتمان–

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 119 ـ اكتوبر 2017 السنة الخامسة عشر SDPA 499

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

د. حسن مدن

من تأليف سبيكة النجار وفوزية مطر

كتاب يوثق تاريخ المرأة البحرينية في القرن العشرين

لا يوجد تاريخان منفصلان أحدهما للرجال والآخر للنساء. وحين نتحدث عن التاريخ الحديث والمعاصر لوطننا البحرين، فإنه لا يمكن كتابة هذا التاريخ، والوقوف عند أهم المحطات فيه دون التوقف أمام مساهمة المرأة في صنع هذا التاريخ، خاصة عند تلك المنعطفات بالذات.

وطبيعي أن حجم التحولات الاجتماعية – الاقتصادية التي شهدتها البحرين واتساع الخدمات في مجالات التعليم والصحة والتوعية قد أسهما في إحداث حراك اجتماعي نشط في البلد كان من نتيجته تضييق دائرة الأمية بين الرجال والنساء على حد سواء، وبالنتيجة أصبح عدد النساء المتعلمات إلى ازدياد مما ساعد على سرعة واتساع انخراطهن في الحياة الاجتماعية والثقافية، وأصبح عدد النساء في سوق العمل لافتاً ليس فقط بسبب ضغط الضرورات المعيشية وإنما أيضاً بسبب الوعي بأهمية العمل وضرورته كقيمة اجتماعية، وتعد تلك إحدى مظاهر نمو الوعي لدى البحرينيين إجمالاً.

وشأنها شأن الرجل أبدت المرأة البحرينية وعياً بضرورات العمل السياسي والمطلبي، إن في دائرته الكفاحية من أجل المطالب العامة للشعب، أي مطالب الديمقراطية وتعزيز الاستقلال الوطني والتنمية المتوازنة المستقلة، وإن في الدائرة المهنية والنقابية وفي العمل التطوعي على أنواعه، وأسهم سفر الأجيال الشابة من البحرينيين، شباناً وشابات في عقود ماضية للدراسة في الجامعات العربية والأجنبية إلى اكتسابهم لخبرات وتجارب جديدة وتأثرهم بأفكار الحداثة.

وبدا ذلك واضحاً على الفتيات بشكل خاص اللواتي كان لهن إسهام بارز في أنشطة روابط الطلبة البحرينيين في الخارج، ومن ثم فروع الاتحاد الوطني لطلبة البحرين، وكثير من الناشطات اليوم في العمل النسائي وفي فعاليات الجمعيات النسائية تلقين خبراتهن الأولى في العمل النقابي والتطوعي فترة دراستهن في الخارج.

ثم جاء قيام جامعة البحرين ليوسع من نطاق ديمقراطية التعليم، بإتاحة فرص أوسع لقطاعات من أبناء الفئات متوسطة ومحدودة الدخل لدخول الجامعة وللتماس مع المناخ الجامعي الذي يوسع من أفق الطالب ومن اهتماماته.

ورغم أن قيام الجمعيات النسائية سابق لانبثاق الحركة الطلابية البحرينية إلا أن الجيل الجديد من الفتيات بين السبعينات والثمانينات خاصة قد ضخ دماء جديدة إلى هذه الجمعيات، وعمَّق من محتوى الدور الدور الذي تنهض بها هذه الجمعيات، وانتقل به من الإطار الخيري والترفيهي المحدود ليجعل منه دوراً أكثر التصاقاً بالهم الاجتماعي والوطني، كما أن لهذا الجيل يعود الفضل في تأسيس جمعيات نسائية جديدة شكلت إضافة إلى العمل النسوي في البلاد.

امرأتان من أبرز رائدات العمل النسوي في البحرين الحديثة، عرفتا أيضاً بدورهما في نضال الحركة الوطنية البحرينية، كماعرفتا أيضاً بمساهماتهما البحثية السابقة، هما الدكتورة سبيكة النجار والأستاذة فوزية مطر قدمتا مؤخراً سِفراً مهماً يقع في نحو خمسمائة وسبعين صفحة، وأعني به كتابهما الذي اشتركتا في تأليفه: "المرأة البحرينية في القرن العشرين – مرحلة ما قبل الاستقلال(1900 – 1970).

عكفت المؤلفتان على العمل لانجاز هذا الكتاب عدة سنوات، حيث اطلعتا على العديد من المراجع والمصادر والوثائق والمراسلات والمحاضرات وسواها من مواد تتصل بموضوع كتابهما، كما أجريتا عدداً من المقابلات مع نساء ورجال لهم علاقة بموضوع البحث، وحللتا ما أصبح في متناول يديهما من بيانات، وما دونتاه من وقائع وأحداث

لتقدما لنا هذا الكتاب المهم والفريد من نوعه حتى الآن، والذي سيعد منذ اليوم مرجعاً لا غنى عنه لأي باحث لا في تاريخ المرأة والحركة النسوية في البحرين فحسب، وإنما في مجمل التاريخ البحريني، لأنهما انطلقتا في بحثهما من منهج علمي صحيح رأى دور المرأة البحرينية ضمن السياقات المجتمعية والسياسية الأشمل، وليس كموضوع مستقل أو منفصل عن هذه السياقات.

يقع الكتاب في ثلاثة فصول، يتناول الفصل الأول: المرأة البحرينية خلال النصف الأول من القرن العشرين، وهو أطول فصول الكتاب حيث وقع في نحو 400 صفحة، بالنظر لطول الحقبة الزمنية التي غطاها، وكتبته الأستاذة فوزية مطر، فيما تولت الدكتورة سبيكة النجار كتابة الفصلين الآخرين، ويعالج أحدهما المرأة البحرينية في خمسينيات القرن العشرين، أما الفصل الثالث والأخير فقد خصص للمرأة البحرينية في ستينيات القرن العشرين، كما اختتم الكتاب بملحقين أحدهما للصور، والثاني للوثائق المتصلة بموضوعات الكتاب.

هذا الكتاب القيّم نفسه يظهر ما تملكه المرأة البحرينية في بلادنا ليس فقط من وعي وثقافة، وإنما أيضاً من مثابرة ودأب وتصميم، في شخص المؤلفتين كنموذج، فلم تكن مهمة سهلة إنجاز عمل بهذه الضخامة بجهد فردي لكل من المؤلفتين، ونوهتا في مقدمتهما للكتاب للصعوبات التي اعترضت عملهما وهما تنكبان على إنجاز بحثهما، ومن تلك الصعوبات امتناع بعض النساء ممن كان لهن أدوار وعايشن فترات من المراحل التي يغطيها الكتاب عن الإدلاء بشهاداتهن وامتناع البعض الآخر عن ذكر اسمه، ومن الصعوبات أيضاً امتناع بعض مراكز التوثيق والمعلومات عن إتاحة الفرصة للمؤلفتين للإطلاع على ما في عهدتها من وثائق.

إذ نحيي المؤلفتين السيدتين الفاضلتين فوزية مطر وسبيكة النجار على هذا الإنجاز الكبير، نقول إن الكتاب جدير بالاحتفاء به لا من قبل النساء وحدهن وجمعياتهن وحدها، وإنما من قبل كل القراء ومؤسسات المجتمع المدني في البحرين، وآمل أن تكون لي وقفة مطولة أمامه في مناسبة قريبة قادمة.